ملامح التصوف عند الشيخ محمود خطاب السبكي

الإطار النظري والتجربة العملية

إعداد

د/ فتحي عبد الرحمن محمد عطية الحوفي

أستاذ العقيدة والفلسفة المساعد بجامعة الأزهر

كلية الدراسات الإسلامية والعربية بنات الزقازيق قسم العقيدة والفلسفة

وأستاذ مشارك بكلية الشريعة والأنظمة جامعة الطائف

١٤٣٤ هـ / ٢٠١٣ م

المقـدمـــة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الخلق وإمام أهل الحق، المبعوث رحمة للعالمين، أرسله ربه للناس كافة، هاديا ومبشرا ونذيرا؛ فمنهم من آمن به واتبع هداه، ومنهم من كفر به واتبع هواه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله، أظهر الحجة وأبان المحجة، حث أمته على الاتباع وحذرها من الابتداع، فاللهم صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه إلى يوم الدين.....

وبعد:

فإن التصوف يمثل الجانب الروحي في الإسلام، والحديث فيه يرتبط بالقلوب وخلجات النفوس، والقلوب والنفوس تخفي من الأسرار ما لا يعلمه إلا علام الغيوب ﷻ، كما أنها محل لتلقي المنح الإلهية والعطاءات والفيوضات الربانية.

كما أن التصوف ليس مجرد كتب تُقرأ أو كلام يُحفظ، وإنما هو عمل وسلوك ومجاهدة ومكابدة، وليس كما يفهمه بعض الأدعياء نوم وكسل وانعزال عن الحياة وعن إعمار الكون، كما أنه ليس تسولا وذلة ومهانة، أو حرفة ومهنة يُتكسب من ورائها.

وإنما التصوف علم وعمل وانقياد واتباع وطاقة عملية يعمر الكون ويخدم المجتمع.

وقد حظي التصوف بنماذج شامخة من رجاله عبر العصور المختلفة، خاضوا التجربة وعاشوها وتمثلوها واقعا حياتيا، علموا فعملوا، واتبعوا كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ، فعبدوا الله كما يحب ويرضى.

ولا شك أن التصوف في نهاية القرن الثامن عشر وأوائل التاسع عشر الميلادي شأنه شأن كثير من العلوم أُصيب بالضحالة وعدم العمق، والسطحية والمظهرية الشكلية، فاهتم أدعياؤه بالرسوم والأشكال، ولم يرتقوا إلى حقيقته وجوهره.

فقد ابتلي التصوف بحفنة من الأدعياء الذين تصدَّروا ساحاته، وظهروا في

المشهد كأنهم رجاله وأربابه، مع خلو جعبتهم من العلم، وخواء حالهم من العمل، فحرفوا الذكر الشرعي عن مراد الله تعالى وتطبيق رسوله ﷺ، وذكروا الله تعالى بحضور الشياطين ومصاحبة النساء والمعازف وآلات اللهو والرقص، وشرب الدخان والمخدرات والحشيش.

واتخذ كل أصحاب طريقة منهم رايات خاصة بهم ذات ألوان متعددة، وأقاموا الموالد التي تعج بالبدع والمنكرات.

وليس هذا فحسب بل ادعوا العلم والولاية والاطلاع على الغيب، وانشغلوا بالدجل والخرافات والخزعبلات، وأدخلوها على السذج والعوام على أنها كرامات، يسترزقون من ورائها، فقد جعلوا تصوفهم وسيلة لسلب الأموال وملء بطونهم من بيوت الأرامل واليتامى.

فهجروا حقائق الأمور ونقضوا أركان التصوف وهدموا سبلها، وغيروا معانيها بأسماء أحدثوها، فأخذوا الأسماء الدالة على الأخلاق المحمدية فوضعوها للأخلاق الدنية.

فسمُّوا الطمع زيادة، وسموا سوء الأدب إخلاصا، وسموا الخروج عن الأدب شطحا، وسموا التلذذ بالمذموم طيبة، (أي شيء يُتطيب به)، وسموا اتباع الهوى كحب امرأة ونحوها ابتلاء، وسموا سوء الخلق صولة، وسموا البخل جلادة، وسموا بذاءة اللسان ملامة، وسموا السؤال عملا، إلى غير ذلك مما أحدثوه، وشوهوا به معالم التصوف الصحيح.

وفي وسط هذا الركام من ظلمات البدع والخرافات التي غمرت ساحات التصوف بوجه خاص والساحات الدينية بوجه عام وأغرقتها، وعلى فترة من المصلحين والمجددين والداعين إلى الله بالقدوة قبل الكلام شق سماء مصر في فجر القرن التاسع عشر نجم ثاقب وهو الشيخ محمود خطاب السبكي؛ فوقف على هذه المخالفات، وحمل بيدٍ معول الهدم للبدع والمنكرات التي عجت بها ساحات التصوف في عصره؛ وأعمل اليد الأخرى في البناء، شأنه شأن المصلحين

والمجددين من أئمة التصوف الكثيرين.

فواجه هذه البدع والمنكرات، ورسم معالم طريق التصوف الصحيح وأخذ بيد السالكين للطريق إلى الله على علم وبصيرة، مستلهما ذلك من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ومنتهجا طرق المصلحين من أئمة التصوف الإسلامي عبر عصوره المختلفة.

فمزج الشيخ السبكي بين العلم والعمل، وبين المنهج والسلوك، وبين النظرية والتطبيق.

لهذا وغيره من الأسباب التالية جاء هذا البحث ليبرز جهود الشيخ السبكي في التصوف من خلال إطاريه النظري والتطبيقي، **ومن هذه الأسباب ما يلي:**

أولا- ما يتمتع به الشيخ السبكي من مكانة كبيرة، فهو من الشخصيات البارزة في العلوم الشرعية كالحديث والفقه والعقيدة والتصوف والدعوة، وغير ذلك، ومؤلفاته المتنوعة في هذه العلوم خير شاهد على هذا.

ثانيا- أن الشيخ السبكي مع رسوخ قدمه في التصوف وعلو قامته ومكانته لم ينل التصوف عنده حظه اللائق به من البحث والدراسة، التي تبرز دوره وجهوده فيه[1].

---

(١) فالدراسات التي قدمت حول شخصيته تناولت العديد من الجوانب المتصلة بعلمه، كالجانب الدعوي والعقدي والفقهي؛ فأولى هذه الدراسات تلكم الدراسة التي قدمها الدكتور/رمضان عبد المطلب خميس سنة ١٩٨٩ م إلى قسم الدعوة والثقافة الإسلامية بكلية أصول الدين القاهرة، لنيل درجة التخصص الماجستير، وعنوانها: منهج الشيخ محمود خطاب السبكي في الدعوة وأثره في إحياء السنة ومحاربة البدع والخرافات، وغير خفي من خلال عنوانها أنها تخصصت في إبراز المنهج الدعوي عند الشيخ.
وقد تعرضت هذه الرسالة على استحياء لجهوده في محاربة البدع والخرافات بوجه عام، وهذا ما يتوافق مع موضوعها.
وثاني هذه الرسائل تلك التي قدمتها الباحثة/سماح على عبد الوهاب سنة ٢٠٠٧ م إلى قسم الفلسفة بكلية دار العلوم جامعة القاهرة، وعنوانها: الإمام محمود خطاب السبكي وآراؤه الكلامية (دراسة تحليلية نقدية).
كما نوقشت مؤخراً فى قسم الشريعة الإسلامية بكلية دار العلوم جامعة القاهرة رسالة الماجستير المقدمة =

ثالثا- يعد التصوف- وبحق- من أهم الجوانب عند الشيخ السبكي التي تحتاج إلى دراسة تبرز جهود الرجل في تنقية التصوف مما حل به من بدع وخرافات وأوهام، وإعادة رسم طريقه إلى ما كان عليه الرعيل الأول من الصوفية- واتباعهم للكتاب والسنة والسلف الصالح من الصحابة والتابعين- الذين رسموا له صورة مشرقة من خلال ما سطروه من قواعده وأركانه، وضربوا من خلال حالهم أروع الأمثلة في الانسجام والتكامل بين النظرية والتطبيق.

رابعا- جاء هذا البحث ليؤكد أنه لا تعارض بين طريق التصوف الصحيح الذي حدد الشيخ معالمه وبين كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وليرد على هؤلاء الذين أثاروا شكوكًا حول تصوف الشيخ، وخلطوا عن قصد أو غير قصد بين شدة تمسكه بالسنة وغيرته على شرع الله، وبين ما يأتي به الأدعياء والمرتزقة من مخالفات وما يقومون به من تشويه وجه التصوف النضر، فقد بلغ الشيخ مبلغًا في الطريق أهَّله لدفع تحريف المضلين وانتحال المبطلين.

فلم يكن شأن الشيخ إنكار التصوف أو الرجوع عنه؛ بل كان شأنه تصحيح أحوال أهل التصوف على الأصول والقواعد، التي قعَّدها الأئمة من قبله.

خامسا- حاجة المجتمع المعاصر ـــ الذي طغت فيه المادية على الجانب الروحي ـــ إلى ربطه بالتصوف الصحيح الموافق للكتاب والسنة، من خلال سيرة الشوامخ من رجال التصوف، والذي يُعد الشيخ السبكي من أبرز رجاله المصلحين له في العصر الحديث.

خطة البحث:

جاء هذا البحث وفق خطة بمقتضاها احتوى على مقدمة، وتمهيد، وفصلين، وخاتمة، وثبت للمصادر والمراجع، وفهرس للموضوعات.

من الباحث عماد عبد الغفار المرغني تحت عنوان "الإِمَامُ مَحْمُود خَطَّاب السُّبْكِيّ وَمَكَانَتُهُ الفِقْهِيَّة". والدراستان الأخريان لم تتعرضا من قريب أو بعيد للجانب الصوفي عند الشيخ السبكي.

فأما المقدمة فقد اشتملت على أهمية الموضوع، وخطة البحث.

وأما التمهيد فعنوانه: الشيخ محمود خطاب السبكي (لمحة تاريخية).

وأما الفصل الأول فعنوانه: الإطار النظري للتصوف عند الشيخ محمود خطاب السبكي.

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: إثراء الشيخ محمود خطاب السبكي للمكتبة الصوفية.

المبحث الثاني: تناول الشيخ محمود خطاب السبكي لأهم قضايا التصوف بالبحث والدراسة.

وأما الفصل الثاني فعنوانه: التجربة العملية للتصوف عند الشيخ محمود خطاب السبكي.

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: انتماء الشيخ محمود خطاب السبكي للطريقة الخلوتية.

المبحث الثاني: مواجهة الشيخ محمود خطاب السبكي للبدع والمنكرات التي سادت التصوف في عصره.

المبحث الثالث: التصوف البناء وخدمة المجتمع عند الشيخ محمود خطاب السبكي.

وأما الخاتمة فقد اشتملت على أهم نتائج البحث.

ثم ذيلت البحث بثبت للمصادر والمراجع، وفهرس للموضوعات.

وقد استخدمت في تتبع جزئيات هذا البحث مجموعة من المناهج، أهمها:

وختاما أقول: لا أزعم أنني- في عرضي لهذا البحث- قد بلغت الكمال أو قاربته، أو أصبت كبد الحقيقة، بيد أنني قد بذلت جهدي، لم آل ولم أقصر، فإن كنت أصبت فذلك من فضل الله وكرمه، وإن كانت الأخرى فذلك من نفسي والشيطان، قال تعالى: ﴿ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولاً وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً ﴾ [سورة النساء ٧٩].

التـــمهـــيـــد

الشيخ محمود خطاب السبكي (لمحة تاريخية)

وسط بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج، من فوقه سحاب، ووسط ظلمات البدع والخرافات التي غمرت الساحات الدينية وأغرقتها... وعلى فترة من المصلحين والمجددين والداعين إلى الله بالقدوة قبل الكلام شق سماء مصر في فجر القرن التاسع عشر نجم ثاقب هو الشيخ محمود خطاب.

جاء واحدا من هؤلاء الذين قال عنهم الرسول ﷺ: « إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا»(١).

لقد كان ﷺ بيقين واحدا منهم، ملأ دنيا المسلمين بعلمه وعمله، مطبقا السنة، وداحضا للبدعة(٢).

وفيما يلي نلقي الضوء على أهم ملامح شخصية الشيخ محمود خطاب السبكي من خلال النقاط التالية:

أولا- اسمه ونسبه:

هو: (أبو محمد، محمود بن محمد بن أحمد بن عبد ربه بن شرف الدين خطاب السبكي)، فهو السبكي بلدا، المالكي مذهبا، الخلوتي طريقة، قطب الأقطاب، الورع، الإمام الكبير، الفقية، المحدث، الثقة، الثبت، ناصر السنة، قامع البدعة، إمام أهل السنة وقدوتهم، المفسر، المجدد، المجاهد، العامل لإعلاء كلمة الله ﷻ وسنة رسول الله ﷺ، عضو هيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف في زمانه، صاحب المؤلفات الدينية الهادفة، ومؤسس الجمعية الشرعية لتعاون العاملين بالكتاب والسنة

(١) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الملاحم، باب ما يذكر في قرن المائة، تح/محمد محيي الدين عبد الحميد ١٠٩/٤ المكتبة العصرية صيدا بيروت، والحاكم في المستدرك على الصحيحين، تح/مصطفى عبد القادر عطا ٥٦٨/٤ دار الكتب العلمية بيروت ط الأولى ١٤١١ هـ/١٩٩٠م.

(٢) جريدة الأخبار مايو ١٩٧٦م نقلا عن: تاريخ وجهاد أئمة الجمعية الشرعية، أ/أحمد محمد خطاب ١٠/١ الجمعية الشرعية فرع المطرية ١٤٠١ هـ/١٩٨١م.

أسأل الله تعالى أن يوفقني إلى السداد ، وأن يجعل هذا العمل صالحا، ولوجهه خالصا، وألا يجعل لأحد سواه فيه حظا، وآخر دعونا أن الحمد لله رب العالمين، وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المحمدية.. غرس شجرتها.. فنمت وازدهرت في عصره، وأثمرت وانتشرت من بعده[1].

ثانيا- مولده:

ولد الشيخ محمود خطاب ببلدة سبك الأحد بمركز أشمون بمحافظة المنوفية، مساء الخميس التاسع عشر من شهر ذي القعدة عام أربع وسبعين ومائتين وألف من الهجرة (١٢٧٤ هـ / أول يوليه ١٨٥٨م)[2].

ثالثا- أسرته ونشأته:

عرض الدكتور عبد العظيم حامد خطاب- حفيد الإمام- التفاصيل الدقيقة لأفراد أسرته وجوانب نشأته، نجتزئ ونختصر طرفا منها بما يوفي بالغرض، ومن ذلك ما قاله: كان مولده من أبوين كريمين، فأبوه الشيخ محمد ابن أحمد خطاب المعروف بالتقوى والسخاء، عمدة سبك الأحد، عُرف بحب العلماء ومجالستهم، أعطاه الله سعة العيش وبسطة الجسم وجمال الخلق والخُلق، بنى أشهر معالم القرية يومئذ المسجد البحري، بني بثلاث نسوة، رُزق من كل منهن برجلين وبنت، وبذا صار للإمام الشيخ إخوة هم: خطاب وعلي وأحمد وعمر، أما أخوه الشقيق فهو محمد، وقد أعقب الجميع وكوّن أبناؤهم أسرة كبيرة (آل خطاب).

(١) يراجع: مقدمة كتاب الشيخ السبكي (العهد الوثيق لمن أراد سلوك أحسن طريق) للمحقق/محمود الطيب بن محمد أحمد شوالي ص١٥ ط الثالثة ١٤١٤ هـ/١٩٩٣م، و: مقدمة كتاب الشيخ السبكي (الدين الخالص) بعنوان: ترجمة الشيخ الإمام محمود خطاب السبكي، الشيخ/أبو القاسم إبراهيم ١/٢ المكتبة المحمودية السبكية ط الخامسة ١٤١١هـ/١٩٩١م، و: لمحات من تاريخ الإمام الشيخ محمود خطاب السبكي، د/عبد العظيم حامد خطاب ص٢٤ ط المؤسسة الأهلية للأجهزة العلمية ومهمات المكاتب، بدون، و: مقدمة كتاب الشيخ السبكي (أعذب المسالك المحمودية) للمحقق/سعيد عبد الفتاح ١١/١ ط الأولى ١٤٢١ هـ/٢٠٠٠ م، و: تاريخ وجهاد أئمة الجمعية الشرعية.

(٢) يراجع: مقدمة كتاب الشيخ السبكي (العهد الوثيق لمن أراد سلوك أحسن طريق) ص١٥، و: مقدمة كتابه (الدين الخالص) ٢/١، و: لمحات من تاريخ الإمام الشيخ محمود خطاب السبكي ص٢٥، و: مقدمة كتاب الشيخ السبكي (أعذب المسالك المحمودية) ١١/١، و: في صحبة الشيخ محمود خطاب إمام السنة وقطب الأقطاب، توفيق أحمد حسن ص١٩ دار ثابت للنشر والتوزيع ١٤١٠ هـ/١٩٨٩م.

أما أمّ الإمام فهي السيدة آمنة بنت محمد بن حسن، من سبك الأحد أيضا، وينتهي نسبها- حسب قوله- إلى الإمام علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن الإمام علي زين العابدين بن الإمام الحسين بن السيدة فاطمة الزهراء[1].

ويعلق الباحث/ رمضان عبد المطلب خميس على هذا النسب قائلا: " ولا أدري كيف وصل إلى هذا النسب الذي يتصل بالسيدة فاطمة الزهراء ﷺ، ولم يذكر ما يوثق هذه النسبة، فالمسافة الزمنية تحتاج إلى دقة في إثبات ذلك النسب، وهذا ما يقتضيه عقل الباحث "[2].

وسواء كان النسب للزهراء صحيحا أم لا؛ فإن الذي لا خلاف حوله أن الشيخ محمود نشأ بين أبوين كريمين أحسنا تربيته وغرسا فيه منذ نعومة أظفاره مكارم الأخلاق.

ولما كان الوليد أقرب شبها بالوالد الشيخ؛ فقد أحبه وقربه، فكان يجلسه معه وهو صغير في دواره الواسع الذي يشرف على حديقته الرحيبة أمامه.

وقد أراد الوالد أن يعلم أولاده كيف يتعهدون أرضهم ومصدر عزهم، كما أراد أن يكون له ولد عالم يفحم الخصم، ويقول الفصل، ويقضي بين أهل بلده، فأراد أن يجمع في أولاده وجاهة المالكين وجلال المتعلمين.

لذا قرر أن يأخذ من كل زوجة من زوجاته أحد أولادها ويدفع به إلى الفقيه تمهيدا لإيفاده للأزهر، ويُبقي الآخر يُشرف على عماله وفلاحيه، فيجمع في كل بيت من بيوت زوجاته الثلاث بين الأمرين؛ حتى لا يكون تعصب ولا محاباة، ويتحقق العدل المأمور به.

وكان نصيب الشيخ محمود أن يبقى بجوار والده يرعى أرضه وخيله وغنمه،

(١) لمحات من تاريخ الإمام الشيخ محمود خطاب السبكي ص٢٥ بتصرف واختصار.

(٢) منهج الشيخ محمود خطاب السبكي في الدعوة وأثره في إحياء السنة ومحاربة البدع والخرافات ص٨ رسالة ماجستير بكلية أصول الدين القاهرة، قسم الدعوة والثقافة الإسلامية ١٤٠٩ هـ/١٩٨٩م.

فاحترف بمهارة فائقة ما عهده به إليه والده، كما احترف صيد السمك والطيور ورياضة الرماية، فبلغ في دقة الرمي أنه كان يصيب الهدف المتحرك والثابت والبعيد والقريب[1].

يقول الشيخ/ أبو القاسم إبراهيم: " وحذق المؤلف غير هذا: النجارة والحياكة وفن البناء، وهو زرّاع ماهر، صائد لا يخطئ الرماية، يصيب الطائر سابحا في جو السماء؛ فيخرّ صريعا، وفي الليل يصيد طيورا معتمدا على سماع صوته "[2].

ويقول الشيخ محمود متحدثا عن مهاراته:" ونشأت في عمل الزراعة، وبلغت في ذلك الغاية، وما توجهت إلى صنعة إلا أتقنتها من بناء ونجارة ونسج وغير ذلك، بدون معلم من الخلائق..."[3].

وقد كان لوالد الشيخ حديقة واسعة الأرجاء مساحتها ستة أفدنة أو تزيد، عدت عليها عوادي الدهر، واستلبت ثمارها أيدي الناهبين فشوهت جمالها، وأذهبت بهجتها، وقد ساء الوليد أن تستباح حديقة والده الواقعة أمام الدوار، فكان لزاما عليه أن ينهض بها، يغرس أشجارها ويصلح أرضها، ويروي أزهارها ورياحينها، حتى أصبحت يانعة الثمار وارفة الظلال دانية القطوف تجود بأطيب الثمار، وعزّت على الناهبين، وأصبحت وليس لراغب فيها منزع، ولا ليد على ثمرها موقع، فالحارس لا ينام فوق أنه صائد ماهر؛ فروّع منْ في بطنه بقية من حرام، وردّ المتلصّص على أعقابه خاسرا لم يملأ يده إلا بطلقات الرصاص[4].

فكانت الهوايات المتعددة للشيخ مجالات للإعراب عن الذكاء المتوقد والإمكانيات المستترة، وميدانا تظهر فيه المهارة والقوة الدافعة والاستعداد المتوثب

(١) لمحات من تاريخ الإمام الشيخ محمود خطاب السبكي ص٢٥- ٢٧ بتصرف واختصار.
(٢) ترجمة الشيخ الإمام محمود خطاب السبكي ٣/١.
(٣) أعذب المسالك المحمودية ٣١٤/٤.
(٤) لمحات من تاريخ الإمام الشيخ محمود خطاب السبكي ص٢٧، ٢٨ و: ترجمة الشيخ الإمام محمود خطاب السبكي ٣/١ بتصرف واختصار.

إلى مزيد من آفاق العمل المثمر المفيد[1].

ولما ناهز السابعة عشر من عمره وبلغ مبلغ الرجال انطلق مع والديه إلى مكة ملبيا ومكبرا مؤديا فريضة الحج، منطلقا بعدها إلى المدينة المنورة فهنأت نفسه بشرف القرب وبلغت مرامها برؤية النبي ﷺ[2]، وقد جهر الشيخ محمود السبكي بهذا قائلا:

بلغت مرادي ونلت المنى ... وزاد سروري وزاد الهنا
فماذا الذي أرتجي بعدها ... وهذا الرسول وهذا أنا
فبشراك بشراك يا ناظري ... تملَّ وإياك أن تغبنا

فحيث التفتَّ رأيت الرسول ... وآثاره من هنا أو هنا
تملَّ فهذا مكان الحبيب ... وهذا التواصل قد أمكنا
وخل الدموع إلى وقتها ... وإن حَسُنَ الدمع عند الهنا[3]

وبعدما عاد من الرحلة المباركة بني بابنة عم والده ورزق منها بمحمد وأمين وعبد الحليم، وفي فترة طلبه العلم بالقاهرة صاهر أسرة أبي يوسف الكوادي، وبني بزوجته الثانية وأنجب منها عبد الحليم وعبد الحكيم.

ويُذكر أن الشيخ تزوج ثلاثا، الأولى فارقها بالطلاق وتزوجت غيره، والثانية ماتت في حياته سنة ١٣٣٩ هـ، والثالثة تزوجها بعد وفاة الثانية وتُوفي عنها[4].

رابعا – انتقاله من الأمية إلى العالمية:

ذكرنا من قبل أن الشيخ محمود كان نصيبه أن يبقى بجوار والده يرعى أرضه

(١) لمحات من تاريخ الإمام الشيخ محمود خطاب السبكي ص٢٨.
(٢) نفس المرجع ص٢٨، ٢٩، ويراجع: أعذب المسالك المحمودية ٣١٤/٤.
(٣) المقامات العلية في النشأة الفخيمة النبوية، تأليف الشيخ محمود خطاب السبكي ص١٩ المكتبة المحمودية ط الثانية ١٣٧٤ هـ/١٩٥٤م.
(٤) لمحات من تاريخ الإمام الشيخ محمود خطاب السبكي ص٣٨، ٧٨، ١٥٢، و: ترجمة الشيخ الإمام محمود خطاب السبكي ٢٩/١ – ٣٠.

وخيله وغنمه، ولكن كيف تحول الشيخ من الأمية إلى العالمية؟

يجيبنا الشيخ نفسه عن هذا السؤال بأسلوب بليغ معبر عن المنح الإلهية والعطايا الربانية، ومختصر لكلام طويل يمكن أن يطرح في هذا السياق، يقول الشيخ: " إن الله أحسن بي إذ منَّ عليَّ بما لا يحصى من عظيم النعم وجعلني مبرّزاً في حبه تعالى وحب رسوله ﷺ سيد العرب والعجم، وأطلعني تعالى على ما حجبه عن غيري من ذوي الهمم، وسلك بي ﷺ طريق الصوفية الذي هو السبيل الأسلم، وأدخلني ﷺ الخلوة الكبرى التي هي ينبوع الفلاح الأقوم، وأسعدني برؤية المصطفى ﷺ، ومنحني ﷺ الذرية وغير ذلك، فله تعالى الشكر على ما به تكرَّم.

كل ذلك وأنا أمّيٌّ لا أعرف الكتابة ولا القراءة، وأعجب ممن يحسنهما، إذ ما دخلت مكتبا وما كانت لي علقة بمتعلم ولا معلم؛ لاشتغالي بأعمال الزراعة وغيرها.

ثم رفعت لي الأستار فظهرت الأنوار والأسرار ونادى مناد رب العالمين: هلم إلى معرفة الخط والعلم الذي رسمه النبي ﷺ على أبهى نمط، فأجبت الداعي وأنا في نهاية الاشتياق فتعلمت الخط والقرآن والعلم الذي رقّ وراق. وقرأت الدروس في الأزهر الشريف للطالبين، كل ذلك في نحو سنة، وما أظن أن ذلك وقع لغيري من البرية، فلله جميل الحمد في كل طرفة عين "[1].

فالشيخ وهو في سبك الأحد لم يكن يربطه بمصادر العلم والمعرفة شيء سوى رؤيته إخوته عند عودتهم من الأزهر لقضاء الأجازة بالبلد، فكان يفتح كتبهم فلا يرى فيها إلا كتابة لا يعرفها ولا يدرك كنهها، فهي بالنسبة له طلاسم لا يعرف لها مفتاحا، فيسأل نفسه: هل لو استطاع فك هذه الرموز يمكنه فهم العلوم التي تحويها؟

فسأل الله ﷻ أن يمنَّ عليه بمعرفة العلم، وأن يسهل له سبل تحقيقه، وبينما هو

(١) فتاوى أئمة المسلمين بقطع لسان المبتدعين، الشيخ محمود خطاب السبكي ص٥، ٦ المطبعة العربية الحديثة ط الخامسة، بدون.

مستغرق في شوقه المشبوب لمعرفة القراءة والكتابة رأى رسول الله ﷺ في المنام وهو يدعو له[1].

وفي ذات يوم وهو جالس في بستان أبيه؛ دخل عليه ابن عم له أو ابن أخته وبيده لوح به بعض حروف الهجاء، فاشتاقت نفسه أن يتعلمها، وهرع إلى معلم القرية ليعلمه طريقة كتابتها، وما أعظم دهشة المعلم حينما رأى خط تلميذه اليافع أحسن من خطه، وما هي إلا أيام قلائل حتى صار يجيد القراءة والكتابة ببراعة فائقة نادرة[2].

ومن هنا تاقت نفس الشيخ إلى الرحلة لتلقي العلم في الجامع الأزهر، وبينما يناجي مولاه سحرا؛ جدّ في الدعاء طالبا أن يمن عليه الوهاب بمعرفة العلم ويسهل له طريقه[3].

يقول الشيخ السبكي: " فبينما أنا باسط أكف الضراعة والسؤال، واقف على أعتاب ذي إطلاق تقييد النوال، طالبا منه منح الإجابة بأسرار فتح النوال وشرح الحال، فعلمني الخط الجميل وأنا في سبيل الاشتغال، في جزء من الزمن لم يسمع به الأولون ولا الآخرون ولا الأمثال، وإذ أنا مشغول بتمام المراد إذ أقبل علينا أحد إخوتي الذي هو عمدة العمد، وأخبرنا أن الوالي يريد أخذ بعض جند من أولاد العمد، فخاف عليَّ والدي، فقال: ادفعوا عنه البدلية، وهي إذ ذاك مائة جنيه وكسور نقدية، فأشار عليه بعض إخوتي بأن يتوجهوا بي إلى الجامع الأزهر ويأتوا لي بشهادة عدم الدخول في زمرة العسكر، فأجابهم إلى ذلك فتوجهنا إلى الجامع المذكور في آخر سنة ١٢٩٧هـ، وأنا عمري إذ ذاك عشرون سنة... فمكثت مجاورا في الجامع المذكور، وأبيت الرجوع إلى الوطن؛ إذ هذا المقصود الباطني،

(١) في صحبة الشيخ محمود خطاب إمام السنة وقطب الأقطاب ص٢٣.

(٢) مقدمة كتاب (الدين الخالص) ١/٤، و: لمحات من تاريخ الإمام الشيخ محمود خطاب السبكي ص٢٥، و: في صحبة الشيخ محمود خطاب إمام السنة وقطب الأقطاب ص٢٤، ٢٥.

(٣) مقدمة كتاب (الدين الخالص) ١/٤.

الحجة سنة ١٣٦٩هـ، واستقال منها بعد إعفائه منها، ثم عودته إليها في جمادى الأولى سنة ١٣٧١هـ، ووافته المنية في صفر ١٣٧٤هـ.

والشيخ عبد السلام البحيري (ت ١٣٥٤هـ) الذي كان عضوا بالمحكمة الشرعية، والشيخ على محفوظ (ت ١٣٦١هـ) الذي كان مدرسا بكلية أصول الدين، والشيخ سليمان نوار، وكان عميدا لكلية اللغة العربية سابقا، والشيخ محمود الغمراوي، وكان مفتشا بالجامعة الأزهرية، وغيرهم ممن قاموا بالوعظ والإرشاد على سنن أستاذهم الشيخ محمود خطاب[1].

سابعا – رحلته مع التأليف:

بدأ الشيخ رحلته مع التأليف وهو في مرحلة طلب العلم قبل حصوله على العالمية، " منذ أن وضع البذور الأولى لدعوته، من خلال دروسه الأولى بالأزهر، والتي بدأت بعد شهور قليلة من مقدمه من الريف، حتى بدأ يكشف اللثام عن فكرهِ كفقيهٍ يستمد أحكامه وفتاويه من الكتاب والسنة، وما جرى عليه العمل في الصدر الأول للإسلام، وأجمع عليه الأئمة المجتهدون، معترضا على ما خالف ذلك، محاربا ما أدخله الناس على الدين من بدع وخرافات في العقيدة والعبادة والسلوك، وما فشا من ذلك في داخل الأزهر وخارجه وفي المساجد وبين مدعي التصوف، غير عابئ بما ذُكر من ذلك في شروح وحواشي بعض المتأخرين، وما تورط فيه بعض العلماء وأئمة المساجد من مشايعة العامة والجهلة في ممارسة هذه البدع، أو إقرارهم لها بسكوتهم وعدم قيامهم بواجبهم الأول المتمثل في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بل ربما تجرأ بعضهم بالإفتاء بأنها بدع حسنة.....

وقد تناولت هذه الكتب مختلف العلوم الإسلامية من عقيدة وتفسير وحديث وفقه وتصوف وأحكام الرئاسة الإسلامية وقضايا المرافعات والتوثيقات والدعاوى الشرعية، وبيان ما اندثر من السنة وما حلَّ مكانها من بدع، وغير ذلك من

(١) مقدمة كتاب (الدين الخالص) ١/٣١، ٣٢.

موضوعات شملتها دعوته"[1].

ومن مؤلفاته التي قدمها الشيخ وهو ما زال في مرحلة طلب العلم: (حكمة البصير على مجموع الأمير في فقه الإمام مالك)، (الرسالة البديعة الرفيعة في الرد على منْ طغى فخالف الشريعة).

وفيما يلي ذكر مؤلفاته، ثم نتبعها بعرض موجز لمؤلفاته في التصوف:

١- (حكمة البصير على مجموع الأمير في فقه الإمام مالك)، ويقع في أربعة أجزاء، ولا يزال مخطوطا حتى الآن.

وقد ذكر الشيخ محمود خطاب أنه كان يُعلِّم طلبة العلم وهو في مرحلة طلبه، فيشرح لهم ما استغلق على أفهام بعضهم، فكان (حكمة البصير) في طليعة مؤلفاته، دوَّن فيه شرحه على مجموع الأمير، فمع أن الكتاب حظي بشروح أعلام المالكية قبله إلا أن الشيخ بعد اطلاعه عليها رأى فيه كثيرا من الأمور الغامضة على المطالعين لا توضحها الشروح السابقة عليه، فقدَّم هذا الكتاب، ولم يتقيد فيه بمذهب المالكية، بل كان يستشهد في كثير من المسائل فيه بأقوال علماء المذاهب الأخرى. وذلك بعد التحاقه بالأزهر بثلاث أو أربع سنوات[2].

٢- (الرسالة البديعة الرفيعة في الرد على منْ طغى فخالف الشريعة).

٣- (حاشية ديباجة الرسالة البديعة)، وما زالت مخطوطة لم تنشر.

٤- (فتاوى أئمة المسلمين بقطع لسان المبتدعين).

٥- (أعذب المسالك المحمودية إلى منهج السادة الصوفية).

٦- (العهد الوثيق لمن أراد سلوك أحسن طريق).

٧- (خلاصة الزاد لمن أراد سلوك سبيل الرشاد)، وقد طبع بمصر سنة ١٣٢١هـ / ١٩٠٢م، وهو كتاب صغير يقع في ٢٢ صفحة، وجه الشيخ فيه أهل

(١) في صحبة الشيخ محمود خطاب إمام السنة وقطب الأقطاب ص١٥٣.

(٢) لمحات من تاريخ الإمام الشيخ محمود خطاب السبكي ص٦٣، ٦٤.

العقل إلى ضرورة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر عليه وعدم اليأس من استجابة الناس إليهم، مشيرا إلى ما لا قاه نبي الله نوح عليه السلام من أذى قومه على مدار عمر دعوته المديد، وما تعرض له النبي ﷺ من أذى قومه.

٨- (المنهل العذب المورود. شرح سنن الإمام أبي داود)، وقد أتم الشيخ محمود خطاب منه عشرة أجزاء، وأكمل نجله الشيخ أمين هذا الكتاب في أربعة أجزاء أخرى، وسمَّاه (فتح الملك المعبود تكملة المنهل العذب المورود شرح سنن الإمام أبي المعبود)، ط مؤسسة التاريخ العربي بيروت لبنان.

٩- (الدين الخالص. أو إرشاد الخلق إلى دين الحق)، وقد أتم الشيخ منه ثمانية أجزاء تنتهي بانتهاء كتاب الصيام، وأضاف إليه نجله الشيخ أمين، الجزء التاسع بعنوان: (الدين الخالص. أو إرشاد الناسك إلى أعمال المناسك).

وقد دعا الشيخ إلى تأليف هذا الكتاب انتشار البدع في عقائد التوحيد، والتعبد بما يضاد سنة خير البرية، وسيطرة التقليد الأعمى على أصحاب العقائد الزائفة بدعوى أنها عقيدة السلف.

١٠- (إتحاف الكائنات ببيان مذهب السلف والخلف في المتشابهات وردّ شبه الملحدة والمجسمة وما يعتقدونه من المفتريات).

وهذا الكتاب من أهم كتب الشيخ العقدية، تناول فيه قضية الصفات، الخبرية، مبينا رأي السلف والخلف في نصوص المتشابهات التي حوت هذه الصفات، وردّ شبه الملحدة والمجسمة وما يعتقدونه من المفتريات.

يقول الشيخ عن سبب تأليفه: " قد سألني بعض الراغبين في معرفة عقائد الدين والوقوف على مذهب السلف والخلف في المتشابه من الآيات والأحاديث بما نصه: ما قول السادة العلماء حفظهم الله تعالى فيمن يعتقد أن الله ﷻ له جهة وأنه جالس على العرش في مكان مخصوص ويقول ذلك هو عقيدة السلف، ويحمل الناس على أن يعتقدوا هذا الاعتقاد، ويقول لهم من لم يعتقد ذلك يكون كافرا مستدلا بقوله

تعالى: ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ [١]، وقوله ﷻ : ﴿أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ﴾[٢]؛ أهذا الاعتقاد صحيح أم باطل "[٣].

١١- تعجيل القضاء المبرم لمحق من سعى ضد سنة الرسول الأعظم، مطبعة السعادة ١٣٣٠هـ.

١٢- (هداية الأمة المحمدية في الحكم المحمودية السنية)، وهو ديوان خطب منبرية، المطبعة العربية الحديثة ط الرابعة ١٤١٠هـ.

١٣- الرياض القرآنية في الخطب المنبرية، مخطوط.

١٤- الحكم الإلهية بالدلائل القرآنية في الخطب المنبرية.

١٥- المقامات العلية في النشأة الفخيمة النبوية، المكتبة المحمودية ١٣٧٤هـ / ١٩٥٤م.

١٦- النصيحة النونية في الحث على العمل بالشريعة المحمدية، المطبعة العامرة العثمانية بباب الشعرية ١٣٤١هـ.

١٧- الصارم الرنان من كلام سيد ولد عدنان، مطبعة السعادة ١٣٤٠ هـ.

١٨- سيوف إزالة الجهالة عن طريق سنة صاحب الرسالة، المطبعة العامرة العثمانية بباب الشعرية ١٣٢٣هـ.

١٩- إصابة السهام فؤاد من حاد عن سنة خير الأنام، المطبعة العامرة العثمانية ١٣٢٠هـ.

٢٠- السم الفعال في أمعاء فرق الضلال، مطبعة الفتوح الأدبية ١٣٢٠هـ

٢١- الغضب الثمين في نحور أعداء الدين، مطبعة الفتوح الأدبية ١٣٢٩هـ.

٢٢- الغضب المنظوم للذب عن سنة المعصوم، مطبعة الفتوح الأدبية ١٣٣٨هـ.

---

(١) سورة طه: ٥.

(٢) سورة الملك: ١٦.

(٣) ص٢ المؤسسة الأهلية للأجهزة العلمية ط الثانية ١٣٩٤ هـ/١٩٧٤م.

٢٣- طريق الوصول إلى إبطال البدع بعلم الأصول، مطبعة السعادة بمصر.

٢٤- محور الوصول إلى علم الأصول.

٢٥- غاية التبيان لما به ثبوت الصيام والإفطار في شهر رمضان، المطبعة الحميدية ١٣١٧هـ.

٢٦- تحفة الأبصار والبصائر في بيان كيفية السير مع الجنازة إلى المقابر، مطبعة المحمودية.

٢٧- المقالة الشرعية للرئاسة الإسلامية، المطبعة الحميدية ١٣١٧هـ .

٢٨- فصل القضية في المرافعات وصور التوثيقات والدعاوى الشرعية، مطبعة الفتوح الأدبية ١٣٣٠هـ.

٢٩- رسالة البسملة مخطوط.

٣٠- رسالة مبادئ العلوم[١].

ثامنا - أعماله:

لم تقف همة الشيخ محمود خطاب عند حد الاكتفاء بالتدريس والوعظ والتأليف، وإنما تعدتها إلى العمل الاجتماعي، " وكيف تقف تلك الهمة الوثّابة؟ همة زعيم مصلح خطير، نشأ متحركا وعاش متحركا، ومنْ كان هذا دأبه فهو مؤسس جماعة، وواضع لها نظامها وقانونا يكفل بقاءها ودوامها.... "[٢].

ففي غرة المحرم سنة ١٣٣١ هـ / ديسمبر ١٩١٢م أسس الشيخ الجمعية الشرعية لتعاون العاملين بالكتاب والسنة المحمدية، ترشد إلى عملي الدنيا والآخرة، وتدعو إلى الحسنيين[٣].

(١) مقدمة كتاب (الدين الخالص) ١/١٢، ١٣.

(٢) مقدمة كتاب (الدين الخالص) ١/١٤.

(٣) مقدمة كتاب (الدين الخالص) ١/١٤- ١٩ باختصار، وقارن: تاريخ وجهاد أئمة الجمعية الشرعية ص٢٢.

تاسعا - وفاته:

لقد ظل الإمام محمود يجاهد لنشر الدعوة بكل الوسائل الممكنة، ما يقرب من أربعين عاما، لم يهدأ فيها لحظة، مرتحلا من قرية إلى قرية، ومن نجع إلى نجع، ينصر السنة، ويقمع البدعة، ويجادل مخالفيه بالتي هي أحسن، وما زال الشيخ الأمام عاكفا على العلم في داره ومسجده، ومكتبته العامرة، وفروع الجمعية الشرعية ومساجدها المنتشرة، مواصلا الدروس والمواعظ.

ولم ينقطع عن عمله الموصول، ولا عن مجلسه الخاص، إلا بعد عصر الخميس الثالث عشر من شهر ربيع الأول عام ١٣٥٢هـ وفي صباح يوم الجمعة الرابع عشر منه أطلّ على بعض تلاميذه من نافذة حجرته العليا، وسلمه آخر ملزمة من الجزء السادس من مؤلفه (المنهل العذب المورود في شرح سنن الأمام أبي داود) كان يصححها لترسل إلى مطبعة الاستقامة.

وفي الساعة الثانية بعد ظهر يوم الجمعة الرابع عشر من شهر ربيع الأول عام ١٣٥٢هـ الموافق ٧ من يوليو سنة ١٩٣٣ لفظ أنفاسه الطاهرة، وأسلم روحه المتفانية في نشر سنة خير الأنبياء والمرسلين[١].

عاشرا - رثاؤه:

نشرت مجلة المصور في عددها (٩٦٢) الصادر في يوم الاثنين ١٧ يوليو ١٩٣٣م مقالا في رثاء الشيخ محمود خطاب بعنوان: وفاة العلامة السني الورع الشيخ محمود محمد خطاب السبكي، وأرفقت معه صورة الشيخ مذيلة بعنوان: فقيد العالم الإسلامي محيي سنة النبي، المغفور له الشيخ محمود محمد خطاب، وأبرز ما جاء في هذا المقال قول كاتبه: فُجع الشرق ورُوع العلم الإسلامي يوم أن نعى الناعون رجل البر والتقوى والصلاح العالم العامل على إحياء سنة رسول الله

(١) تاريخ وجهاد أئمة الجمعية الشرعية ص٢٣ وقارن: مقدمة كتاب (الدين الخالص) ١/٢٠، ٢١ باختصار.

والمقوّي دعائم الملة المحمدية المغفور له الشيخ محمود خطاب السبكي، من أقطاب علماء الأزهر الشريف، فكان وقع النعي على النفوس أليما؛ لأن فجيعة الشرق فيه مريرة، وخسارة العالم لا تعوض، وقد فاضت روحه الطاهرة إلى بارئها لا عن مرض أو علة، ولكن ساعة المنية حانت وقضاء الله حل وهو لابد واقع.....

انتشر خبر وفاته سرعة البرق بين مريديه وهم ألوف؛ فسارعوا إلى داره باكين آسفين مترحمين، كما غصت بالعلماء والفضلاء...، شُيِّعت جنازته في مشهد حافل سار فيه عدد يزيد عن عشرين ألف، وصُلِّي عليه بجوار قبره، ووري التراب مذكورا بخير ما يُذكر به راحل إلى عالم الخلود.... أجزل الله له المثوبة في مقام صدق عند مليك مقتدر(١).

ويقول حفيده د / عبد العظيم حامد خطاب: " إن هناك رجالا لا ينساهم التاريخ؛ للأثر الضخم الذي تركوه وللدوي الهائل الذي أحدثوه.

وإذا كانت الأعمار تنتهي والأعمال تنقضي إلا من ولد صالح أو صدقة جارية أو من علم ينتفع به الناس؛ فقد ترك الإمام الشيخ محمود خطاب السبكي ذلك كله، ترك أثرا لا ينمحي، وسيبقى أبد الدهر علامة على الطريق وحجة لله على الناس.

ولئن استطاع الموت أن يغيب قامته المديدة ووجهه المشرق وحديثه العذب وعلمه الغزير؛ فإن ذلك يبقى ماثلا في أذهان أبنائه وتلاميذه العديدين، وستبقى مساجد الجمعية الشرعية ومعاقلها العلمية ومؤسساتها الخيرية إن شاء الله أكبر دليل على أنه العملاق الذي لا يبارى، والمصلح الذي لا يجارى، والفارس الذي لا يشق له غبار "(٢).

(١) لمحات من تاريخ الإمام الشيخ محمود خطاب السبكي ص١٧٤.

(٢) لمحات من تاريخ الإمام الشيخ محمود خطاب السبكي ص١٥.

الفصل الأول

الإطار النظري للتصوف عند الشيخ محمود خطاب السبكي

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: إثراء الشيخ محمود خطاب السبكي للمكتبة الصوفية

المبحث الثاني: تناول الشيخ محمود خطاب السبكي لأهم قضايا التصوف بالبحث والدراسة

المبحث الأول

إثراء الشيخ محمود خطاب السبكي للمكتبة الصوفية

مع أن جميع مؤلفات الشيخ – رغم تنوعها- تشع بأنوار التصوف الإسلامي؛ إلا أنه خصَّ بعضها بالحديث عن التصوف ورسم معالم الطريق، بما يتوافق مع الكتاب والسنة، ووضع الضوابط الشرعية له، بما يميزه عن تصوف المبتدعين وانتحال الغالين والمبطلين، القاعدين عن العمل بسنة خير المرسلين، المبعدين عن جوار رب العالمين، وهذا ما يتضح من الحديث عن أبرز مؤلفاته الصوفية.

أبرز مؤلفاته الصوفية:

لن نقدم عرضا تفصيليا لما حوته مؤلفاته الصوفية، ونكتفي بأن نعطي ملمحا سريعا عليها من خلال ما يلي:

١- الرسالة البديعة الرفيعة في الرد على من طغى فخالف الشريعة:

كشف تحصيل الشيخ للعلم على كثير من البدع التي يقع فيها العامة والخاصة من أهل العلم ومخالفتهم للشريعة في كثير من أمور الدين والدنيا في الأزهر وغيره من المساجد وفي التصوف وفي حِلق الذكر وألوان العبادة فبادر بطرح محاولة لإصلاح هذا الفساد بوجه عام، والذي طغى على التصوف بوجه خاص، تستند إلى الكتاب والسنة ومحاربة ما يخالفهما.

فحاول الشيخ من خلال الرسالة البديعة أن يرسم بصورة موجزة معالم التصوف الصحيح، مبينا ضرورة موافقته للكتاب والسنة، مستشهدا بأقوال أقطاب التصوف في تمسكهم بالشرع الحنيف، آخذا بأيدي الصوفية إليه، رادا على من خالف منهم الكتاب والسنة في طريقته وتصوفه.

فقام بالرد على من خالف ذكره الكتاب والسنة والإجماع، مبينا حرمته وحرمة سماعه، وانعدام ثواب القيام به، فما لهم إلا الطرد والمقت والنيران.

ثم بيَّن الشيخ ضوابط الذكر الشرعي الذي يثاب عليه فاعله، حتى أنه إذا وجدت عبارة توهم جواز الذكر بما يخالف الكتاب والسنة حُرِّم العمل بظاهرها.

كما قام بالرد على من نسب إلى الحافظ ابن حجر فتوى جواز الذكر المخالف للكتاب والسنة من جواز الرقص وغيره من المحرمات، مبينا من كلام ابن حجر بطلان هذه النسبة.

كما رد على من استدل بجواز الرقص في الذكر بفعل الصحابة رضي الله عنهم، مبينا كيفية ذكر الصحابة رضي الله عنهم.

كما وضح حرمة شرب الدخان بوجه عام، وحرمة شربه في مجلس العلم والقرآن بوجه خاص، بل إن صاحب القراءة لا يؤجر بل يؤزر.

يقول د / عبد العظيم حامد خطاب السبكي: " وهذا الكتاب في حقيقته محاولة لإصلاح سبل الصوفية، وجعل الطوائف المختلفة تستند إلى سند من السنة بتصحيح أخذها في الذكر والرجوع إلى المصادر المعروفة في الشريعة من الكتاب والسنة والإجماع، ثم العناية لإصلاح أحوال المجتمع، ومحاربة ما لا يستند على دعامة من الدين وسند من عمل الرسول ﷺ "(١).

وقد استهل الشيخ محمود هذه الرسالة بعبارات ترسخ القول بتصوفه، ومن ذلك قوله: " الحمد لمزيل الران عن قلوب الواصلين، ومثبت سر السر في منهج العارفين، ذي تجلي الذات والصفات والأفعال والأسماء على من عناه من الطالبين، فجمعوا قبل ما فرقوا بعدما شربوا بعدما ذاقوا؛ فوافوا حق اليقين، فرحيق بدور فلك المحبين بدا بعد الأفول، ومبرز من سماء الذات نور شموس الأسماء لوصول السائرين، فجرت بحار أُنس إسعادهم فروت أراضي التابعين، فأحرزوا قصبات السبق في مضمار عبقري رياض ميدان المزهرين، فهناك طلعت أقمار معارف التحائف في فؤادهم الرياحين، فيا لها من منحة أحدية من خير سائل وأجل مسئول، من رسم بيد العناية سطر آلاء إنعام المطارف، في صفحات ألواح ألباب ذوي المخاوف؛ فأثمرت حدائق اتصال العوارف، في سموات مسكيات اللطائف، فسما

(١) لمحات من تاريخ الإمام الشيخ محمود خطاب السبكي ص٨٢.

لداهم على بحار سواهم فما بالك بالطلول، المحيي أموات المقامات، بوابل غيث الأذكار والطاعات، لإنبات العلوم اللدنية في فؤاد السادات، الحاسمين بسيف الشريعة طوى المخالفات، ففازوا بالرضا والقبول، الذي اختار لذكره خيار عباده، وخصهم بأنسه ووداده، طيبي الأصول والفصول.

والصلاة والسلام على إنسان عين الأنام، أفصح مجيب طه الرسول، البريء ممن خالف شرعه، الآخذ بيد من اتبعه في الفعل والتقرير والقول، وعلى آله وأصحابه... "[1].

وهذه العبارات التي استهل الشيخ بها رسالته البديعة تخرج من مشكاة التصوف، الأمر الذي دعا لجنة اختباره في العالمية لمحاولة الظفر من الشيخ - أثناء أدائه الاختبار - بطرفة من التصوف للخروج من جو الأسئلة والأجوبة إلى تعطير المجلس بنفحات التصوف من خلال بعض عبارات الصوفية الواردة في مقدمة الرسالة البديعة، فما كان منه إلا الاعتذار، قائلا: (إن القلوب ممتلئة بحب الدنيا فلا تقبل شيئا من التصوف)، فغضبت اللجنة وحملت جوابه على تكبره عليهم، فوضح لهم الشيخ الببلاوي مقصد الشيخ من جوابه وأنه ليس متكبرا، وإنما قال ما قال لإدراكه بفطرته السليمة شُغلِنا بالدنيا عن الآخرة، ومن شغل قلبه بالدنيا لا يستسيغ عبارات التصوف "[2].

٢- فتاوى أئمة المسلمين بقطع لسان المبتدعين:

جرت عادة الناس - ولا سيما أصحاب البدع - برفض أيِّ دعوة للإصلاح لمخالفتها لما اعتادوه وألفوه؛ فأراد الشيخ أن يعضد من دعوته، من خلال كسب تأييد أهل العلم لها، ومن ثم عرض رسالته على كبار شيوخ الأزهر فأطروها وشكروه عليها ودعوا له بالتوفيق والقبول[3]، ومن هذا المنطلق جاء هذا الكتاب.

(١) الرسالة البديعة الرفيعة في الرد على من طغى فخالف الشريعة ص٢، ٣ المطبعة العثمانية ١٨٩٥م.
(٢) لمحات من تاريخ الإمام الشيخ محمود خطاب السبكي ص٩٠.
(٣) لمحات من تاريخ الإمام الشيخ محمود خطاب السبكي ص٨٣.

وعن سبب تأليفه يقول الشيخ محمود خطاب: " تمكنت البدع المذمومة من قلوب غالب الناس، لا فرق بين من يُنتسب للعلم أو للباعة، وتُرك العمل بجل سنن رسول الله ﷺ الوضَّاءة، ومر على ذلك عدة قرون. فاعتقد الناس أن هذه البدع هي سنن السيد المأمون، وخلف من بعدهم خلف قالوا: إنا وجدنا آباءنا كذلك يفعلون. فعند ذلك علمت علم يقين أني إذا نهيتهم بالعمل بالبدع - التي ترغب في فعلها الشياطين - وأمرتهم بالتمسك بسنن المصطفى ﷺ- التي هي الدين - يحاربونني بكل ما يقدرون عليه، كما وقع من المشركين مع إمام النبيين، وتحققت أن الجهلاء لا يعقلون آيات القرآن، ولا أحاديث إمام الأنبياء، ولا نصوص الأئمة المجتهدين المقربين الأصفياء، وإنما يعتقدون أن المُحلِّل والمُحرِّم من كان في زمانهم من العلماء.

فرأيت أنه لا بد لي من رفع أسئلة إلى علماء عصرنا الأعيان، أرجو من حضراتهم بيان حكم ما اشتهر من البدع في غالب البلدان، وشاهد فعلها وسكت عليها كثير من علماء الزمان - وربما حسنوها للجهلة وهي في مهاوي شنيع القبح والخسران- ؛ ليكون جواب أولئك العلماء الأفاضل عونا لنا على تعليم الجاهل، وسيفا قاطعا لألسنة المعاندين، الذين يبغضون كل من ترك البدع وعمل بسنن السيد الكامل، وتنقطع شبه العوام، وتبطل دعوى الذين ينسبون نفوسهم إلى العلم، وهم أضل من الأنعام.

يقولون: لو كانت هذه البدع مذمومة لأفتى بمنعها العلماء الأعلام، ولم يعقلوا أن الحرام حرام ولو فعله جميع الأنام "[1].

فمن البدع التي تعرض لها في هذا الكتاب، بدعة دوران أهل الطرق حول الصاري في الموالد، وحرمة إقامة الموالد وصرف المال فيها؛ لما فيها من الاختلاط المحرم، مبينا مخالفة ذكر غالب المتصوفة لشرع الله، ووقوعهم في

(١) فتاوى أئمة المسلمين بقطع لسان المبتدعين ص٧.

الإلحاد في أسمائه وتحريف ألفاظها، مبينا حرمة حضور مجالس الذكر المحرف، مؤكدا أن أسماء الله تعالى توقيفية، ومرشدا إلى كيفية الذكر الصحيح.

٣- أعذب المسالك المحمودية إلى منهج السادة الصوفية:

فصّل الشيخ ما أجمله في الرسالة البديعة من خلال أهم كتبه في التصوف على الإطلاق، وهو أعذب المسالك، ويقع في أربعة أجزاء، قام الأستاذ / سعيد عبد الفتاح بتحقيقه والتقديم له.

ويعد هذا الكتاب- كما أضاف محققه إلي عنوانه- (المرجع الكامل للصوفية الشرعية المطابقة للكتاب والسنة المحمدية).

افتتح الشيخ كتابه بعبارات مفعمة بروح التصوف وأنسام إشاراته ودقائق مصطلحاته، قائلا: " الحمد لله الذي أتحف أحبته بإنعامه فهم له بذلك شاكرون، وأقامهم في خدمته فهم على ذلك عاكفون، وزجَّهم في عبقري رياض أُنسه ووداده المصون، وحفَّهم بعناية لطفه وأمدَّهم بإسعاده وفضله فهم بذلك مفلحون، فذاقوا رحيق المعارف السرمدية، وفازوا بالسعادة الأبدية فبه يتنافسون، وغرقوا في عين بحر الوحدة والمحو أزال عنهم ربقه وبجمع الجمع يتصفون، وتجردوا بالغني عن النفس والصاحب والمال والبنين فلهم الهنا وبوصل الوصل يتلذذون، علم اليقين جازوا، حق اليقين فازوا، عين اليقين حازوا فهم يتسابقون، راقبوا في بدايتهم وعاينوا في نهايتهم، والفرق الثاني سجيتهم فهم بسر السر يتحدثون، فصاروا لا يشهدون إلا حضرته تعالى ودانى دنوهم قد تعالى فهم باللقاء يتخلَّقون، ﴿ أَلاَ إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[1]، فهم عرائس القدس ولا يرى العرائس المجرمون "[2].

جمع الشيخ في هذا الكتاب أقوال الصوفية وطرقهم وما يتعلق بها من الأركان والأصول والشروط، والعلاقة بين الشيخ والمريد وما يلزم كليهما من آداب، وكيفية

(١) سورة يونس: ٦٢.

(٢) ١/٢٩، ٣٠.

أخذ العهد ودليله وشروطه، والأوراد وفضلها وكيفيتها، مرشدا المريدين إلى التصوف الصحيح القائم على الكتاب والسنة، منبها على كثير من المآخذ التي لاحظها في عالم التصوف، مزيلا اللبس والغموض والشوائب والمخالفات التي لحقت به ويتمسك بها أدعياؤه " من الشعوذة والدجل والخرافات والبدع التي جعلت التصوف ألفاظا يتداولها أتباع تلك الطرق وتجعل الشريعة تخالف الحقيقة، وتجعل اللحن في أسماء الله انجذابا واتخاذ المرقعات والعمائم ذات الألوان مظاهر على الولاء والوصول، وجمع الموائد والأموال فروضا وواجبات بغير حجة أو دليل.

وبهذا يكون الكتاب حربا على المظهرية التي جذبت إليها مغرورين، ودعوة إلى العمل بغير رياء أو خداع،... ومرحلة على الطريق إلى إحياء العمل ونبذ التواكل والجهل، وهو دعوة إلى العمل بسنة الرسول والتأسي بعمله باعتباره.. المثل الكامل والقدوة الفريدة في المعاملة والعبادة ومعرفة الله والتقرب إليه.

فكان السيد الإمام يضع في هذا الكتاب على طريقة الصوفية الأساس المتين لتربية النفس وتقويم الخلق وتهذيب السلوك، وذلك بالعلم والعبادة.

وإذا كان هذا الكتاب وسيلة لإصلاح الذكر والعبادة؛ فلقد كان مرحلة على الطريق إلى إحياء العمل بالكتاب والسنة، وتأليف الكتب التي رسمت خطة العمل المبني على الحجة والدليل في ضوء البحث والمتابعة لسيرة الرسول ﷺ وأصحابه الأماثل رضوان الله عليهم "[1].

وقد جاء (أعذب المسالك) في مقدمة وتسعة أبواب، تناول في المقدمة تعريف التصوف وموضوعه وفائدته، ومنْ هو الصوفي والفرق بينه وبين المتصوف، ثم أجمل ضابطا يجمع جمل معاني الأقوال في التصوف.

وتناول الباب الأول بيان طرق الصوفية وما يتعلق بها من الأركان والأصول، ولوازم الطريق.

(١) لمحات من تاريخ الإمام الشيخ محمود خطاب السبكي ص٨٣.

وتناول الباب الثاني والثالث كيفية العهد والتلقين، ووصية الشيخ للمريد، والآداب المتعلقة بكليهما، والعهد وضوابطه وكيفيته.

وبيّن الباب الرابع الأوراد وفضلها، وفضل الاستغفار والصلاة على النبي المختار ﷺ، والتحذير من تركها.

وجاء الخامس في أفضال النوافل وقيام الليل والتسبيح والتحميد وفضل بعض السور والآيات.

وفي السادس تحدث عن أوراد بعض السادة الصوفية وتفسيرها وبيان الحضرة الإلهية والبرزخ، وضرورة استحضار القلب عند قراءة الأوراد، كما تحدث عن أهمية صيام النافلة.

وفي السابع تكلم عن تفسير الألفاظ المتداولة بين أرباب الأحوال والأذواق، مثل المقام والحال، والقبض والبسط، والجمع والفرق، والستر والتجلي، والمحو والإثبات، والنفس ودرجاتها، وتجلي الذات والصفات والأفعال، والمحبة وعلاماتها..، ويعدُّ هذا الباب من أهم أبواب الكتاب، أجاد الشيخ في اختيار الألفاظ واختيار تفسيرها وشرح معانيها.

وفي الباب الثامن تحدث عن قضايا الولاية والأولياء وكراماتهم وأقسام الكرامة، وأسباب الفتوحات وعلامات الفتح، والرد على من أنكر الكرامة والفتح على الأولياء، مبينا علامات الولي المفتوح عليه.

وأما الباب التاسع والأخير فقد تعددت أفكاره وتشعبت بين التصوف وبين الفقه، فهو باب في الأحكام الفقهية المتعلقة بالطريق الصوفي وما ارتبط به من بدع وضلالات، ومن فرط اهتمام الشيخ بهذا الباب؛ جعل بعض من نظروا إلي هذا الكتاب أن يضيفوا إلى عنوانه السابق عبارة (والأحكام الفقهية)، فيصير هكذا (أعذب المسالك المحمودية إلى منهج السادة الصوفية والأحكام الفقهية)، والأمر ليس كذلك؛ فغاية ما أراد الشيخ من تعرضه للأحكام الفقهية في هذا الباب أن يجيب على بعض ما اشتهر في زمانه من مسائل الخلاف وجعلها في هذا الكتاب؛ للتأكيد على

أن الصوفي لا بد أن يكون عالما بالشرع الشريف غير بعيد عنه؛ ليصح له صنع المعروف وإغاثة الملهوف، وقضاء حوائج المسلمين، وإدخال السرور عليهم، كما يقتضيه الشرع الحنيف، وليس على حسب الهوى والمزاج[١].

٤- العهد الوثيق لمن أراد سلوك أحسن طريق:

وهو من آخر كتب الشيخ الصوفية، صغير الحجم عظيم المضمون، رسم فيه الشيخ معالم الطريق لإرشاد من يريد العبادة إلى حسن التوجه القلبي لله والتوكل عليه وإخلاص النية مع الالتزام بالسنة، ففي الكتاب بيان للطريقة الشرعية لتربية سلوك المريد، ورسم طريق الإنابة له، والعمل على الترقي؛ حتي يصل إلى مقام القرب من الله تعالى[٢].

تحدث الشيخ في هذا الكتاب عن الذكر وأهميته وكيفيته ومراحله، والعلاقة بين الشيخ والمريد، وكيفية أخذ المريد العهد عن شيخه، وأصل العهد، وعن علامات المريد الصادق والمريد الكاذب، وتحدث عن آداب الطريق مع النفس والشيخ والإخوان. كما تناول رؤية اليقظة ودليلها، وأطوار النفس ومقاماتها.

كما أن خروج هذا الكتاب في طبعته الثانية في السنة التي مات فيها ١٩٣٣م؛ من ألزم القرائن الدالة على ثبات الشيخ على طريق أهل الله، وهو بمثابة بلاغ من الشيخ وهو في ببرزخه بتكذيب كل من تقوّل عليه بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى، مدعيا تحيز الشيخ لآراء الصوفية، مخالفا مذهب أهل السنة؛ فجاء هذا الكتاب ليؤكد أنه لا تعارض بين طريق التصوف الذي حدد الشيخ معالمه وبين السنة[٣].

ومما تقدم يتضح إثراء الشيخ السبكي للمكتبة الصوفية بالعديد من المؤلفات التي تناولت أبرز قضايا التصوف الإسلامي وعالجت أهم مشكلاته، وفيما يلي عرض لأهم قضايا التصوف التي تناولها الشيخ محمود خطاب السبكي.....

(١) يراجع: مقدمة المحقق ص١٦- ١٨ بتصرف واختصار.

(٢) يراجع: مقدمة المحقق ص٧- ١٠.

(٣) يراجع: مقدمة المحقق ص٧، ٨.

المبحث الثاني

تناول الشيخ محمود خطاب السبكي لأهم قضايا التصوف بالبحث والدراسة

تناول الشيخ محمود خطاب السبكي جلَّ قضايا التصوف الإسلامي التي عرضت لها أمهات كتب التصوف، وغني عن البيان أن هذا البحث لا يمكن أن يفي بالحديث عن كل قضايا التصوف التي عرض لها الشيخ، ومن ثم يكتفي الباحث بعرض رأي الشيخ في أهم قضايا التصوف التي شملها بالبحث والدراسة، من خلال ما يلي:

١- حدُّ علم التصوف وما يتبع ذلك:

قدَّم الشيخ السبكي لأعذب المسالك بمقدمة بيَّن فيها حد علم التصوف، أورد فيها أقوال أهل الطريق في حدِّه علما وعملا، قائلا: " **حُدَّ علما** بأنه يُعرف به صلاح القلب، وسائر الحواس.

أي يُعرف به كيفية تصفية الباطن من عيوب النفس وصفاتها المذمومة، كالحقد والحسد والغش والغل وطلب العلو والكبر والغضب والطمع والبخل وتعظيم الأغنياء وتحقير الفقراء... ونحو ذلك.

فهو كناية عن التخلِّي عن الرذائل والتحلي بالفضائل.

وعملا: بأنه الأخذ بالأحوط من المأمورات، واجتناب المنهيات، والاقتصار على الضروريات من المباحات "[١].

ثم بين الشيخ أن التصوف بمعنى العمل هو الطريقة[٢]

ومن التعريفات التي استأنس بها الشيخ تعريف الشعراني (ت ٩٧٣ هـ) للتصوف بأنه: " علم انقدح في قلوب الأولياء حين استنارت بالعمل بالكتاب والسنة، فكل من عمل بهما انقدح له من ذلك علوم وآداب وأسرار وحقائق تعجز الألسن

(١) أعذب المسالك المحمودية ١/٤٠.
(٢) أعذب المسالك المحمودية ١/٤٢.

عنها "[١].

ثم استنتج الشيخ منه أن التصوف ذوق وجداني ورياضة عقلية تحتاج لفطنة كبيرة، ومن ثم لا يصل إلى إدراكه إلا أصحاب هذا الذوق وتلك الفطنة، وفي ذلك يقول: " علم التصوف إنما يُدرك بالذوق وهو المعول عليه.

ولذا قال بعضهم:

علم التصوف علم ليس يدركه ... إلا أخو فطنة بالحق معـــروف
وكيف يعرفه من ليس يشهـده ... وكيف يشهد ضوء الشمس مكفوف[٢]"

وإذا كان علم التصوف يدرك بالذوق، فمنبعه الصفاء، ومبناه التمسك بآداب الشريعة، والبعد عن الشبهات، وحفظ الحواس.

يقول الشيخ السبكي: " والحاصل أن علم التصوف مأخوذ من الصفاء، وهو خلوص الباطن من الشهوات والكدورات.

ومبناه على التمسك بآداب الشريعة، والتباعد عن الشبهات، وحفظ الحواس من كل ما يغضب الله تعالى، ومراعاة الأنفاس؛ فلا يضيع نفسا في غير طاعة للتحرز من الغفلات، فإن الإنسان يخرج منه كل يوم وليلة مائة ألف وأربعة وعشرون ألف نَفَس ينبغي له أن يراعيها ولا يضيعها "[٣].

وبعد عرض الشيخ للتعريفات الكثيرة التي قدمها الصوفية عقب عليها قائلا: " وحاصل الباب أن التصوف أمره عزيز جليل، ومعدنه من الناس نزر قليل، وقد وقع في تعريفه أقوال كثيرة تنوف على ألف قول إلا أن معانيها متقاربة "[٤].

من خلال ما تقدم يتضح تأثر الشيخ السبكي بأبي بكر الكتاني(ت ٣٢٢هـ) في

(١) أعذب المسالك المحمودية ١/٤٠، ٤١، ويقارن: الطبقات الكبرى المسماة بلواقح الأنوار في طبقات الأخيار، عبد الوهاب الشعراني ص٤ المطبعة العامرة ١٣١٥ هـ.
(٢) أعذب المسالك المحمودية ١/٤١.
(٣) أعذب المسالك المحمودية ١/٤١.
(٤) أعذب المسالك المحمودية ١/٥١.

تعريفه للتصوف بأنه صفاء ومشاهدة.

فمع وجازة تعريف الكتاني إلا أنه جمع بين الوسيله وهي الصفاء وبين الغاية وهي المشاهدة[1].

وحتى لا يقصر البعض التصوف على الرسوم والمظاهر أكد الشيخ أن التصوف يهتم بالباطن فالصفاء لا يتحقق إلا بخلوص الباطن من الشهوات والكدورات، وحتى لا يفهم البعض أن التمسك بالشريعة مرتبط بالظاهر دون الباطن؛ عرَّف الشيخ التصوف بتعريف آخر ركَّز على أن الصفاء والكمال الذي ينشده التصوف لا يمكن أن يتحقق إلا بالتمسك بالشريعة ظاهرا وباطنا، وفي ذلك يقول الشيخ: " التصوف هو الوقوف مع الآداب الشرعية ظاهرا وباطنا، فيرى حكمها – أي الشريعة – من الظاهر في الباطن ومن الباطن في الظاهر؛ فيحصل من الحكمين كمال لم يكن بعده كمال... والكمال هو التخلي عن الأوصاف الذميمة والتحلي بالأوصاف الحميدة"[2].

والشيخ بهذا يربط التصوف بالأخلاق، متابعا مشايخ الصوفية الذين ربطوا التصوف بالأخلاق، كأبي محمد الجريري (ت٣١٤ هـ) الذي عرّف التصوف بأنه: "الدخول في كل خلق سني والخروج عن كل خلق دنيء"[3]، وكتعريف أبي بكر الكتاني: "التصوف خلق فمن زاد عليك في الخلق فقد زاد عليك في الصفاء"[4].

وأفضل الأخلاق الحميدة هي التي جسَّدها النبي ﷺ والمتمثلة في أوامر القرآن ونواهيه، ولهذا كان حريا بالشيخ أن يجعل أخلاقه ﷺ موضوعا لعلم التصوف.

(١) المنقذ من الضلال، د/عبد الحليم محمود ص١٥٤، ١٦٥ طبع دار الكتاب اللبناني بيروت ط٢ عام ١٩٨٥م.

(٢) العهد الوثيق لمن أراد سلوك أحسن طريق ص٤٥، ٤٦.

(٣) الرسالة القشيرية في علم التصوف للقشيري، تحقيق/معروف مصطفى زريق ص٢٨٠ المكتبة العصرية للطباعة والنشر صيدا بيروت ط الأولى ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

(٤) الطبقات الكبرى للشعراني ١/٧٥.

موضوع علم التصوف وفائدته:

يقول الشيخ السبكي: " موضوعه: الأخلاق المحمدية من حيث التخلق بها، وهي أوامر القرآن ونواهيه.....

وبعبارة – أي أخرى – موضوعه: أفعال القلب والحواس من حيث التزكية والتصفية"[1].

وإذا كان التصوف ينشد الكمال، والكمال لا يتحقق إلا بالتخلي عن الأوصاف الذميمة والتحلي بالأوصاف الحميدة؛ فإن فائدة التصوف تكمن في إصلاح الإنسان ظاهرا وباطنا[2].

ثم بين الشيخ طرفا من المقدمات التي تطرح بين يدي أي علم، كغاية العلم وواضعه ونسبته واستمداده واسمه وحكمه ومسائله، وذلك على نحو مختصر، فقال: " **غايته:** الفوز بأعلى الرتب في الآخرة.

واضعه: العارفون الآخذون له عن النبي ﷺ بالسند المتصل.

ونسبته: فرع علم التوحيد.

واستمداده: من الكتاب والسنة.

واسمه: علم التصوف.

وحكمه: الوجوب.

ومسائله: قضاياه التي يبحث فيها عن عوارضه الذاتية، كالفناء والبقاء والمراقبة والمشاهدة والجلال والجمال... وغير ذلك "[3].

ربط علم التصوف بعلم التوحيد:

في نسبة علم التصوف ذكر الشيخ السبكي أنه فرع لعلم التوحيد، ومعلوم أن الفرع لا وجود له دون أصله؛ ومن هنا أكدَّ الشيخ أن السير في طريق التصوف لا

(١) أعذب المسالك المحمودية ١/٤٣.

(٢) أعذب المسالك المحمودية ١/٤٣.

(٣) أعذب المسالك المحمودية ١/٤٣، ٤٤.

يمكن أن يتحقق إلا بعد معرفة العقائد الإيمانية، التي هي بالنسبة لسائر الأعمال كالروح للإنسان، وفي ذلك يقول: " اعلم أنه لا يمكن السير إلى الله تعالى والتخلق بأخلاق الصوفية وغيرها من الأخلاق المرضية إلا بعد معرفة عقائد الإيمان، التي هي لسائر الأعمال كالروح للإنسان، إذ لا امتثال ولا عبادة إلا بعد معرفة الآمر الناهي المعبود؛ لأن الجهل بمعرفة ما يجب له تعالى وما يستحيل وما يجوز ينافي كونه المقصود، وكل عاقل لا يؤمن بشيء إلا بعد إدراك أوصاف ما به يصدّق، حتى يعلم أنه الضار النافع لمن عصاه أو أطاعه، وبوعده أو وعيده يتحقق "[1].

ثم نعى الشيخ على أدعياء التصوف الذين هم بصفات الرحمن كالأنعام جاهلون، وفي طغيانهم يعمهون، فعمّ بجهلهم الفساد في هذا الزمان الوخيم.

يقول الشيخ السبكي: " أجمعت الأمة على أن من لم يعرف ما يتعلق بربه ﷻ من عقائد التوحيد يكون طريدا، فيخلد في العذاب الشديد.

وقد تقدم أن التصوف فرع عن التوحيد، ولا يوجد الفرع بدون أصله بدون ترديد، بخلاف ما عم به الفساد في هذا الزمان الوخيم، فادّعى أناس أنهم صوفية يعبدون الرحيم، وهم بصفاته كالأنعام جاهلون، فهم في طغيانهم يعمهون "[2].

وما ذكره الشيخ السبكي في ضرورة إلمام الصوفي بأصول علم التوحيد حتى يتسنى له السير في الطريق؛ هو ما عليه شيوخ الطريق، وفي ذلك يقول القشيري) ت ٤٦٥ هـ): " شيوخ هذه الطريق بنوا قواعدهم على أصول صحيحة في التوحيد، صانوا بها قواعدهم عن البدع، ودانوا بما وجدوا عليه السلف وأهل السنة من توحيد، ليس فيه تمثيل ولا تعطيل، وعرفوا ما هو حق القدم، وتحققوا بما هو نعت الموجود عن العدم.....

قال أحمد بن محمد الجريري رحمه الله: من لم يقف على علم التوحيد بشاهد

(١) أعذب المسالك المحمودية ٥٦/١.

(٢) أعذب المسالك المحمودية ٥٧/١.

من شواهده زلت به قدم الغرور في مهواة من التلف، يريد بذلك أن من لجأ إلى التقليد ولم يتأمل دلائل التوحيد؛ سقط عن سنن النجاة، ووقع في أسر الهلاك. ومن تأمل ألفاظهم وتصفح كلامهم وجد في مجموع أقاويلهم ومتفرقاتها ما يوثق بتأمله بأن القوم لم يقصروا في التحقيق عن شأو، ولم يعرجوا في الطلب على تقصير "[1].

٢- الصوفي والمتصوف والصوفية:

أولا- الصوفي والمتصوف:

من منطلق التخلي عن الأوصاف الذميمة والتحلي بالأوصاف الحميدة؛ فرّق الشيخ السبكي بين الصوفي الحقيقي وبين مُدَّعي التصوف، **وفي ذلك يقول:** " الصوفي هو منْ تصفّى من الكدر، وامتلأ من العبر، وانقطع لعبادة ربه عن البشر، واستوى عنده الذهب والمدر "[2].

وواضح من تعريف الشيخ السبكي للصوفي تأثره بتعريف سهل بن عبد الله التستري (ت ٢٨٣ هـ) للصوفي بقوله: **الصوفي من صفا من الكدر، وامتلأ من الفكر، وانقطع إلى الله من البشر، واستوى عنده الذهب والمدر**[3].

ومن هنا حمل الشيخ السبكي على المتصوفة الذين لا يعرفون من التصوف إلا مظهره الخارجي من لبس الصوف والمرقّعات، دون أن يصلوا إلى درجة الصفاء، ويستشهد لهذه التفرقة بين الصوفي الحقيقي وبين أدعياء التصوف من أصحاب الرسوم والأشكال بأبيات من الشعر **جاء فيها:**

يا واصفي أنت في التحقيق موصوفي ... عارفي لا تغـالط أنـت معروفي

(١) الرسالة القشيرية ص٤١.

(٢) أعذب المسالك المحمودية ٤٤/١.

(٣) تذكرة الأولياء ٢٦٤/١، ونشأة التصوف الإسلامي د/إبراهيم بسيوني صـ ١٨ طبع دار المعارف، دراسات في التصوف الإسلامي، فيصل بدير عون ص٦ الناشر مكتبة الحرية جامعة عين شمس، بدون.

إن الفتى منْ بعهده في الأزل يُوفـــي صافَى فصُوفي لهذا سُمي الصوفي

وليس كمن قيل فيه:

لبستَ مُـــــــرقَّعا صوفا وقـــلتـــا أنا الصوفي ليس كما زعمتا[1].

وإذا كان الشيخ رفض أن يكون التصوف محصورا في الرسوم والمظاهر ولبس المرقَّعات؛ فإنه رفض ما يفعله المتصوفة في حلق الذكر من الصياح والرقص والطرب والاضطراب باسم التصوف، فإن هذه الممارسات لا تدل من قريب أو بعيد على التصوف الصحيح بقدر ما تدل على جنون فاعليها، كما رجَّح الشيخ أن تكون كلمة صوفي مشتقة من الصفاء وليس الصوف كما يرى البعض، **واستشهد بقول بعض الصوفية:**

ليس التصوف لُبس الصوف تُرقِعَهُ ولا بُكاؤك إنْ غنَّى المغنونا

ولا صياحٌ ولا رقصٌ ولا طربٌ ولا اضطراب كأنْ قد صرتَ مجنوناً

بل التصوف أن تصفو بلا كدر وتَتْبَعُ الحقَّ والقرآنَ والدينا

وأن تُرى خاشعا لله مكتئبا على ذُنوبك طول الدهر محزونا

ولذا قيل:

تنازع الناس في الصوفي واختلفوا قدما وظنوه مشتقا من الصوف

ولست أمنح هذا الاسم غير فتى صافي فصُوفِيَ حتى سُمِّي الصوفي[2]

وقد استخلص الشيخ السبكي من أقوال الصوفية ضابطا يجمع أقوالهم في

(١) أعذب المسالك المحمودية ١/٤٤.

(٢) أعذب المسالك المحمودية ١/٤٤، وقارن: تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة لأبي الريحان البيروني ص٢٧، ٢٨ طبع عالم الكتب بيروت ط٢ ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ويراجع: قواعد التصوف لابن زروق صـ ٦، ويراجع: الغزالي والتصوف الإسلامي، د/أحمد الشرباصي ص٢٤٨ طبع دار الهلال.

الصوفي، وفي ذلك يقول: " **الصوفي:** هو الذي يكون دائم التصفية، ولا يزال يصفى الأوقات عن شوب الأكدار، بتصفية القلب عن شوب النفس، يعنيه على هذه التصفية دوام افتقاره إلى مولاه، فبدوام الافتقار ينتقى من الكدر، وكلما تحركت النفس وظهرت بصفة من صفاتـــها أدركها ببصيرته الناقدة، وفر منها إلى ربه.

فبدوام تصفيته جمعيته، وبحركة نفسه تفرقته وكدره، فهو قائم بربه على قلبه، وقائم بقلبه على نفسه، قال الله تعالى: ﴿... **كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ**....﴾[1].

وهذه القوامية لله على النفس هو التحقق بالتصوف"[2].

ثانيا- الصوفية:

إذا كان الشيخ السبكي قد انتهى إلى أن التصوف مأخوذ من الصفاء، ومبني على التمسك بآداب الشريعة، وإذا كان موضوعه الأخلاق الحميدة من حيث التخلق بها وصولا إلى التزكية والتصفية؛ فإن الصوفية الحقيقيين هم منْ اصطفاهم الله واتصفوا بالأخلاق الحميدة، وفي ذلك يقول الشيخ السبكي: "الصوفية قوم اصطفاهم الله تعالى فاتصفوا بكل صفة جميلة شرعا من الزهد والانقطاع للعبادة، وغير ذلك من الأخلاق المحمدية، فوصفهم لا يُضاهَى وفضلهم لا يتناهى "[3].

وأورد أبياتا من الشعر في وصفهم وفضلهم، جاء فيها:

قوم همومهم بالله قد علقت فما لهم همم تسمو إلى أحد

فمطلب القوم مولاهم وسيدهم يا حسن مطلبهم للواحد الصمد

ما إن تُنازِعُهم دنيا ولا شرف من المطاعم واللذات والولد

(١) سورة المائدة من الآية (٨).

(٢) أعذب المسالك المحمودية ١/٥٣، وقارن: عوارف المعارف للسهروردي ص٥٩ ط دار القومية للطباعة ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م.

(٣) أعذب المسالك المحمودية ١/٥٠.

ولا للبس ثياب فائق أنق ... ولا لروح سرور حلَّ في بلد

إلا مسارعة في إثر منزلة ... قد قارب الخطو فيها باعد الأبد

فهم رهائنُ غُدران وأودية ... وفي الشوامخ تلقاهم مع العدد[1]

٣- طريق الصوفية وما يتعلق بها:

بين الشيخ أن طريق الصوفية هي طريق الأخيار، وأنها عزيزة لا يُهدي فيها سوى المختار، وأن سلوك الطريق عبارة عن تتبع أخلاق النبي ﷺ والعمل بها[2].

أما المريد السالك الواصل إلى الله تعالى: فهو الذي تخلى عن أوصافه الذميمة، وتحلى بالأوصاف الجميلة؛ لأنه إذا اتصف بصفات الكمال، وخلص من قبيح الفعال، فهو التقي الواصل إلى حضرة الكبير المتعال، من أصحاب الأحوال الذين قطعوا المنازل والأهوال وترقوا مقامات الرجال، قلوبهم متوجهة إلى بارئهم، لا يسكنون إلا إلى ذكره، ولا يتقوتون إلا بتلاوة اسمه، فسبحان من أعطاهم عظيم النوال وحاكهم على هذا المنوال[3].

الأمور التي تلزم مريد الطريق:

ذكر الشيخ السبكي معرفة العقيدة على رأس هذه الأمور التي تلزمة. ثم معرفة بعض أبواب الشريعة، كالطهارة والصلاة والصيام والتيمم، وما يحتاج له السير. ثم يتعلم من القرآن ما لابد منه. ثم يقلع عن الذنوب ويجدد التوبة ويخلِّص قلبه من الصفات المذمومة شرعا، ويتخلق بما يمكنه من أصول طريقه الآتية: من اسقاط التدبير وكمال التسليم وقطع العلل التي تنقص العمل أو تبطله، والتخلق بالسنة قولا وعملا وكذا الكتاب العزيز.

(١) أعذب المسالك المحمودية ٥٦/١.

(٢) يراجع: أعذب المسالك المحمودية ٦٥/١، ٦٦، و: العهد الوثيق ص٤٥.

(٣) يراجع: أعذب المسالك المحمودية ٦٥/١، ٦٦.

ثم ذكر من فضائل الأعمال التي لابد من قيامه بها، مع ملازمة الذل والخشوع والدموع وصدق الولوع ودوام المجاهدة والمشاهدة، وأن المريد إذا واظب على الأصول والفروع بنيَّةٍ عليَّةٍ أيده الحق وأدخله حضرته المرضية. وأما من ضيَّع الفروع والأصول فبعيد عن الوصول[1].

مهمات الطريق:

ذكر الشيخ أن للطريق مهمات لابد منها لمن أراد الوصول، وأن عبارات الصوفية اختلفت في تناولها؛ فمنهم منْ قسمها إلى أركان وشروط ولوازم، ومنهم منْ جعلها أركانا وأصولا وشروطا، ومنهم منْ جعلها أصولا فقط، ومنهم منْ جعلها شروطا فقط، ومنهم منْ جعلها آدابا فقط، وبعضهم زاد في الأركان والأصول وبعضهم أنقص.

ثم عرض الشيخ لكل هذه المهمات على نحو تفصيلي وآخر إجمالي، أكتفي بذكر عرض الشيخ الإجمالي لها على النحو التالي:

أ- أركان الطريق:

ذكر الشيخ السبكي أقوال الصوفية في أن الأركان ثلاثة عشر، وهي: التوبة، والخوف، والرجاء، والحزن، والقناعة، والزهد، والورع، والتوكل، والصبر، والشكر، وجهاد النفس، والرضا بالقضاء، والعزلة، وترك العباد، أي ترك الالتفات لأحوالهم ولو مع الخلطة بهم فهو غير العزلة[2].

كما ذكر الشيخ أن بعض الصوفية أرجع الأركان السابقة إلى أربعة فقط، وهي: الجوع والسهر والصمت والعزلة.

ثم فصل القول في كل ركن منها في مطلب خاص به، شارحا ومستدلا ومبينا فضل وفائدة كل ركن منها[3].

(١) يراجع: أعذب المسالك المحمودية ٦٧/١ باختصار.

(٢) أعذب المسالك المحمودية ٦٧/١، ٦٨.

(٣) يراجع: أعذب المسالك المحمودية ٦٩/١- ١٨٧.

ب- أصول الطريق:

بعد أن ذكر الشيخ أقوال الصوفية في أصول الطريق، وما تحمله من تداخل في كثير من الأحيان بين الأركان والشروط واللوازم[1]، غير أنه فصل القول فيها، مبينا أن أصول الطريق ثلاثة عشر، وهي: التوبة، والمجاهدة، والدعاء، والخوف، والرجاء، والورع، والتقوى، والزهد، والصبر، والشكر، والقناعة، والتوكل، والرضا[2].

جـ- شروط الطريق:

وقد وضح الشيخ أن الصوفية مزجوا بينها وبين الآداب فقال: " فأما الشروط فكثيرة، وقد يعبرون عنها بالآداب، فمنها: دوام المراقبة، والموت الاختياري، ومحاسبة النفس، وملازمة الشيخ، ومداومة الذكر، والأوراد، وحل ما به الانتفاع من الأكل ونحوه، والاقتصاد فيه، وترك الافتخار بالعلم والجاه والنسب، والغربة إما بالجسم أو بالقلب، وحسن الأخلاق...، وحفظ القلب من موجبات الجفاء....

ومن أوكد الشروط: اجتناب الأحداث...، وترك الخلطة بالإناث، وعدم استبطاء الفتح، وعدم الانتصار للنفس ولو بحق، وترك سماع مدح مادحه ولو بصدق، وألا يحزن على ما فات ولا يفرح بما هو آت من أمور الدنيا، وعدم اتباع الهوى وترك الجدال"[3].

وبعد أن أورد الشيخ أقوال الصوفية في شروط الطريق رآى أن شروط الطريق ستة عشر، وهي: الإخلاص، والذكر، وشيخ الطريق، فطم النفس وقمعها عن شهواتها وصفاتها المذمومة، والتواضع، والخشوع، والمراقبة لله عند فعل كل شيء، والفكر، والكرم، والحياء، والوفاء بأوامر الله تعالى، والرفق، والصدق في المودة، والأدب (الأخذ بمكارم الأخلاق الموصلة إلى الكريم الخلاق)، والفطنة،

(١) يراجع: أعذب المسالك المحمودية ١/٦٨، ٦٩.
(٢) يراجع: أعذب المسالك المحمودية ١/١٨٨، ٣٧٨.
(٣) أعذب المسالك المحمودية ١/٦٨.

والموت الاختياري بحيث يفنى السالك عن شهوته النفسية ويخرج عن حظوظه بالكلية.

وقد فصل الشيخ القول في هذه الشروط بصورة كبيرة استغرقت الثلث الأخير من الجزء الأول من كتابه أعذب المسالك والثلث الأول من الجزء الثاني منه[1].

د- لوازم الطريق:

ذكر الشيخ السبكي أن ثمة لوازم لابد منها لمريد السفر- سيما سفر الآخرة- وهي كما يلي:

" **عشرة المقصد:** وهو الباعث على السفر، **والدليل:** وهو الشيخ، **والزاد:** وهو التقوى، **والسلاح:** وهو الوضوء، **والسراج:** وهو الذكر، **والمطية:** وهي الهمة القوية، **والعكاز:** وهو العجز، **والحزام:** وهو الحزم، **والمنهاج:** وهو الشريعة، **والرفقة:** وهم إخوان الصدق "[2].

من خلال ما تقدم نرى أن الشيخ السبكي في عرضه لأركان الطريق وأصوله وشروطه ولوازمه؛ قد مزج بينها وبين المقامات والأحوال، وهي- مع اختلاف أصحاب الطريق- كثيرة ومتداخلة مع بعضها.

وذلك نظرا لأن المقامات لما كانت تشتمل على حالات وجدانية خاصة تعتبر مظاهر لما يتحقق به السالك من استقرار نفسي حال سلوكه اختلف أصحاب الاتجاه الصوفي في عددها.

فيرى السراج الطوسي أن المقامات سبعة وترتيبها عندنا كما يلي: التوبة، الورع، الزهد، الفقر، الصبر، الرضا، التوكل...[3].

(١) يراجع: أعذب المسالك المحمودية ج ١/من ص٣٧٩ حتى نهايته ص٦٣٠، وج ٢ من أوله حتى ص١٩٣.
(٢) أعذب المسالك المحمودية ١/٦٨.
(٣) اللمع، أبو نصر السراج الطوسي ص٦٥ تح د/عبد الحليم محمود ، وطه عبد الباقي سرور طبع دار الكتب الحديثة بمصر ، ومكتبة المثنى ببغداد ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م.

ويرى أبو طالب المكي (٣٨٦ هـ) أنها تنحصر في تسعة فقط فبدأها بالتوبة ثم الصبر، والشكر، والرجاء، والخوف، والزهد، والتوكل، والرضا، والمحبة[١].

أما السهروردي (ت ٦٣٢ هـ) فقد ذهب إلى أنها عشرة هي: التوبة، والورع، والزهد، والصبر، والفقر، والشكر، والخوف، والرجاء، والتوكل، والرضا[٢].

وهناك من أسرف في حصرها كالهروي(٤٨١ هـ)، حيث ذكر عدداً كثيراً من المقامات جمعها في مائة مقام، وقسم كل ذلك إلى عشرة أبواب ضمَّن كل باب عشرة مقامات[٣].

٤- الشيخ والمريد:

يرى الشيخ السبكي ضرورة الأخذ عن شيخٍ لسلوك الطريق الصوفي، ويستشهد بما أورده الشعراني في ذلك، حيث يقول: " اعلم يا أخي أن طريق العمل بالكتاب والسنة قد توعرت في هذا الزمان، وعز سالكها لأمور عرضت في الطريق يطول شرحها، حتى صار الإنسان يرى الأخلاق المحمدية فلا يقدر على الوصول إلى التخلق بشيء منها، فلذلك كنت أقول في غالب عهود الكتاب وهذا العهد يحتاج من يعمل به إلى شيخ يسلك به الطريق، ويزيل من طريقه الموانع التي تمنعه عن الوصول إلى التخلق به، إشارة إلى أنه لا يلزم من معرفة الفقيه بالأحكام الوصول إلى العمل بها، بل يحتاج مع ذلك إلى شيخ يريه معالم الطريق"[٤].

(١) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد، محمد بن علي بن عطية الحارثي المشهور بأبي طالب المكي ١٧٨/١ تح/عاصم إبراهيم الكيالي، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط الثانية ١٤٢٦ هـ/٢٠٠٥ م.

(٢) عوارف المعارف. صـ ٤٣٩ - ٤٥٣.

(٣) منازل السائرين، عبد الله الأنصاري الهروي ص٥ دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٨ هـ/١٩٨٨ م.

(٤) أعذب المسالك المحمودية ٦٧/١، وقارن ما كتبه الشعراني في كتابه: لواقح الأنوار القدسية في بيان العهود المحمدية، تقديم/محمد علي الأدلبي ص٤ دار القلم العربي بحلب ١٤١٣ هـ/١٩٩٣ م.

علامات المريد الصادق:

أورد الشيخ السبكي بعض مقالات العارفين في علامات المريد الصادق، من خلال ما ورد في الرسالة القشيرية وغيرها[١]، منها: ألا يخل بأدب من آداب الشريعة إلا سهوا لا كسلا، وألا يمشي خطوة في هوى نفسه حياء من ربه، وعدم الاشتغال بأحد دون الله ولو بالخطاب، وألا يفتر عن ذكر الله آناء الليل وأطراف النهار طرفة عين، ومنها ترك القيل والقال وقطع مألوفاتها حتى لا يصير له شهوة لشيء منها، وألا يرى على وجه الأرض أحدا أحب إليه من شيخه، فإن قدم عليه زوجة أو ولدا لم يشم من طريق الحق رائحة وهو كاذب، وعدم الاعتراض على شيخه ولو بقلبه، حتى إذا قال له شيخه ادخل التنور فإنك لا تحترق، وأن المريد إذا دخل واحترق فإنه كاذب، وإذا ما استصغر مريد شيخه من دعوى ادعاها إلا حُرم بركته وعدم النفع بكلامه ولحظه، وإذا طرده شيخه من مجلسه أن لا تنقص حرمته عنده.

فقد أورد الشيخ السبكي أقولا كثيرة في هذا الصدد وما تحمله من مبالغات في بعض الأحيان، مبينا أن الميزان في قبولها ورده هو الكتاب والسنة، وعقب عليها قائلا: " والكلام في ذلك كثير، والقليل يكفي العاقل البصير، وكلامهم في الأشياخ الصادقين، لا في الجهلة أو الزنادقة المخالفين لسنة خاتم النبيين ﷺ، فإن هؤلاء دجالون أو شياطين...، إذ العمل بالسنة المحمدية هو الميزان، فكل من خرج عنها ضل وغرق في مراحيض الخسران، ولو كان في الهواء يطير، أو فوق ماء البحر يسير"[٢].

ومن ثم راح الشيخ يتحدث عن جملة من الآداب التي تحكم العلاقة بين الشيخ والمريد، وقسمها خمسة أقسام، كما يلي:

(١) يراجع: العهد الوثيق ص٥٤- ٧١، وقارن: الرسالة القشيرية من ص٣٦١- ٣٨٥.

(٢) العهد الوثيق ص٧١.

ما يُطلب من الشيخ مع المريد، وما يُطلب من المريد مع الشيخ، وما يُطلب منه مع إخوانه، وما يُطلب منه مع نفسه، وما يُطلب منه مع العامة.

ثم فصل القول في آداب كل قسم منها، مستشهدا بما ذكره الصوفية في هذه الآداب، سيما الشعراني من خلال مؤلفاته الصوفية[1].

وغني عن البيان ما تتطلبه طبيعة البحث من الاكتفاء بالعرض الإجمالي لآداب الشيخ مع مريده، وآداب المريد مع شيخه فقط دون خوض في تفاصيلها، ودون عرض لجملة الآداب التي أشار إليها الشيخ، وذلك من خلال ما يلي:

أ- ما يُطلب من الشيخ مع المريد:

ذكر الشيخ السبكي أن آداب الشيخ مع مريده تختلف باختلاف الأشخاص والأوقات والأزمان، ومن ثم فإنها لا تقف على عبارة أو تحديد، ولذا فإن الشيخ يحتاج إلى بصيرة ونظر سديد، وأن يسعى بكل جهده إلى ما فيه إصلاح المريد، ومن الأمور المطلوبة من الشيخ لمريده ما يلي:

أن ينهاه عن حركة الوجد الاختيارية، وأن يأمره بالاعتماد على الله دون الشيخ، وأن يأمره بالتباعد عن مجالس القيل والقال، وأن يمنعه من الأكل في الميامتم؛ لما فيه من قلة المروءة بمخالفة الشريعة، خصوصا حملة القرآن، وأن ينهاه عن الرياسة؛ لأن حب الرياسة رأس كل خطيئة، وصاحبها لا يسود أصلا، وأن يأمره بفعل ما فيه المروءة، وأن ينهاه عن التطلع للدنيا وزينتها، وأن ينهاه عن تعظيم له فوق أقرانه[2]، وأن يحثهم على فعل البر وترك ضده.

(١) يراجع: أعذب المسالك المحمودية ٢/٢٦٧- ٣٣٧، و: العهد الوثيق ص٧٢- ٨٦، وقارن ما كتبه الشعراني في كتابه: مدارج السالكين إلى رسوم طريق العارفين، وهو عبارة عن رسالة لطيفة في بيان آداب الفقراء القاصدين طريق الله ﷻ، اللوحات من ١٠- ٣٣ مخطوط مصور من جامعة طوكيو، معهد دراسات الثقافة الشرقية.

(٢) يقول الشيخ في تعظيم بعض المريدين لشيوخهم، كالقيام لهم وتقبيل أيديهم: " ينبغي للأشياخ أن يزجروا المريدين عن فعله معهم ويكرهوا ذلك ظاهرا وباطنا.. فالذي على الشيخ عدم رضاه بهذه التعظيمات، وأمره بعدمها أمرا أكيدا؛ لأن في ذلك رفعة علي خلق الله تعالى، وهو أمر مذموم، بل =

أما وظيفة الشيخ فهي حسن خلقه مع أهل الإرادة والطلب، والنزول من حقه فيما يجب من التبجيل والتعظيم للمشايخ، واستعماله للتواضع.

ومن آداب الشيخ: النزول إلى حال المريدين من الرفق بهم وبسطهم، وإذا علم من مريده ضعفا في مراغمة النفس وقهرها واعتماد صدق العزيمة أن يرفق به ويُوقفه على حد الرخصة، والتنزه عن مال المريد وخدمته، وإذا رأى من بعض المريدين مكروها أو علم من حاله اعوجاجا أو عُجْبا؛ ألا يصرح له بالمكروه، بل يتكلم مع الأصحاب ويشير إلى المكروه الذي يعلم، ويكشف عن وجه المذمة مجملا. وحفظ أسرار المريد فيما يُكاشف به ويُمنح.

وانتهى الشيخ من عرض جملة آداب الشيخ مع مريده قائلا: والحاصل أن المطلوب من الشيخ للمريد أن يأمره بكل خير ويحثه عليه، وينهاه عن كل ما فيه مخالفة للشريعة المحمدية[1].

ب- ما يُطلب من المريد مع الشيخ:

تحدث الشيخ السبكي عن ضرورة مصاحبة الأشياخ والأخذ عنهم نفسا بنفس وملاحظتهم وملازمة الأدب معهم ودوام خدمتهم.

ثم ذكر جملة من الآداب التي يجب على المريد أن يتحلى بها، أكتفي بالإشارة إلي بعضها إجمالا دون تفصيل، وأغض الطرف عن الكثير منها، ومن هذه الآداب التي أشير إليها ما يلي:

ألا يأكل مع شيخه حتى يدعوه، ولا يمشي أمامه إلا لضرورة، ولا يكتم عليه شيئا من أحواله، ولا يفعل مهما إلا بمعرفته، ويقوم بقيامه، ويُقبل عليه إذا جاء، ولا =

المطلوب التواضع" أعذب المسالك ٢/٢٧٥.

(١) أعذب المسالك المحمودية ٢/٢٦٧- ٢٨٠ باختصار، وقارن ما كتبه أعلام الطريق في آداب الشيخ مع المريد والذين نقل الشيخ عنهم وتأثر بهم، مثل: السهروردي في عوارف المعارف ص٢٠٤ وما بعدها، وابن عربي في الفتوحات ١/٤٨٢ وما بعدها، والشعراني في الطبقات الكبرى ١/٦٦، ٢٣٤، ٢/٢٩، ٤٩.

ينام بحضرته، ولا يتثاءب ولا يتكئ ولا يستند على شيء، ولا يتربع إلا أن يأمره، ولا يأكل وهو ينظر إليه.

وإذا أمره بأمر امتثله، ولا يتأول كلام شيخه في أمره أو نهيه، بل يحمله على ظاهره ويسعى فيما ندبه إليه وإن كان ظاهره مخالفا لظاهر النقل؛ فإن الشيخ أوسع اطلاعا منه على السُنَّة ومأخوذ عليه العهد بالنصح لكل مسلم، وبتقدير أنه غلط يبارك للمريد في امتثال أمره أكثر مما يفعله المريد بهوى نفسه، وفي قصة موسى والخضر نهاية لكل معتبر.

ثم ذكر الشيخ جملة كبيرة من آداب المريد مع شيخه أغض الطرف عنها اكتفاء بما أشرت إليه.

والشيخ السبكي في ذكره لهذه الآداب كان مرددا لما ذكره الشعراني بصورة حرفية[1].

٥- الولاية والكرامة:

خص الشيخ السبكي الحديث عن كرامات الأولياء بباب كامل من كتابه أعذب المسالك، تناول من خلاله تعريف الكرامة والفرق بينها وبين المعجزة، والولايه والأولياء، وجواز ظهور الكرامات منهم، وعن أسباب ظهور الكرامات منهم، كما تحدث عن قسمي الكرامة الحسية والمعنوية، وعن إمكانية وقوع الكرامة الحسية من باب المكر والاستدراج، مبينا أن الأمر الخارق قد يظهر على يد كافر، كما أن عدم ظهور الكرامات لا يدل على نقص الولي بل على كماله، كما بين أن الولاية لا تعني العصمة، فإنه يجوز وقوع المعصية منهم، ويعجزون عن دفع أدنى ضرر عنهم أو عن غيرهم.

وخص الشيخ مطلبا من هذا الباب للرد على من أنكر الولاية والكرامة.

(١) يراجع: أعذب المسالك المحمودية ٢/٢٨١- ٣٠٩، و: العهد الوثيق ص٧٨- ٨٦، وقارن ما كتبه الشعراني في كتابه: مدارج السالكين إلى رسوم طريق العارفين، اللوحات من ١٠- ٢٩.

واستأنس الشيخ في عرضه لكل ما يتعلق بالكرامة والولاية بأقوال أئمة الطريق من سادات الصوفية[1].

ومما تجدر الإشارة إليه أن الشيخ السبكي كان له حظ وافر من كرامات الله عليه بلغت حدا يستعصى حصره، وسيأتي بيان طرف من ذلك في الفصل الثاني.

من خلال ما تقدم عرضه من بعض قضايا التصوف كما تناولها الشيخ السبكي؛ يتضح أن الرجل كان متتبعا لخطى سلفه في التصوف ومرددا لأقوال أقطاب الطريق، سيما السهروردي وابن عربي (ت ٦٣٨ هـ) والقشيري، كما يتضح حرصه في تناوله لها على موافقتها للكتاب والسنة، وهو الأمر الذي يزداد وضوحا من خلال الجانب التطبيقي للتصوف عنده وهو ما نوضحه من خلال الفصل الثاني.

(١) يراجع: أعذب المسالك المحمودية ٣/٣٣٣- ٤٠٤.

الفصل الثاني

التجربة العملية للتصوف عند الشيخ محمود خطاب السبكي

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: انتماء الشيخ محمود خطاب السبكي للطريقة الخلوتية

المبحث الثاني: مواجهة الشيخ محمود خطاب السبكي للبدع والمنكرات التي سادت في عصره

المبحث الثالث: التصوف البناء وخدمة المجتمع عند الشيخ محمود خطاب السبكي

المبحث الأول

انتماء الشيخ محمود خطاب السبكي للطريقة الخلوتية[١]

بدأت علاقة الشيخ بالتصوف من خلال تردده على مسجد القرية، الذي تعرف من خلاله على الشيخ أحمد محمد أبو جبل السبكي، الخلوتي طريقة، وقد أرشده بدوره على معالم الطريق، فعكف الشيخ محمود خطاب السبكي على العبادة وممارسة ألوان من التصوف يخلو من خلالها إلى نفسه، ليندمج في انفعال روحي مع الصيام نهارا والقيام ليلا...، وعزف عن تناول الطعام إلا لماما، وكانت والدته تشفق عليه فتعد له الطعام وتضعه على باب حجرته، فتمر الساعات الطويلة وربما الليلة والليلتان دون أن يلتفت إليه أو يمسه، وكان يحرص على تأدية صلاة الفجر في المسجد كغيرها من باقي الصلوات، وفي النهار كان يؤدي أعمال الزراعة وغيرها.

ولما بلغ الثامنة عشرة من عمره رافق والدية في رحلة الحج والعمرة، وبعد عودته من الحج والعمرة ومشاهدة الأماكن الفاضلة وزيارة خير البرية ﷺ، واغتنام المعارف من أنوار الحجرة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة وأتم التسليم؛ كانت مرحلة الفتح الرباني بالانتماء لطريق الصوفية، فزاد تقربه إلى الله تعالى بكثرة النوافل والتهجد بالليل، وكثرة ذكر الله؛ حتى بدت عليه بشائر القبول، ورأى له أحد الصالحين رؤية حسنة كانت دافعا لارتقائه في هذا الطريق[٢].

---

(١) الطريقة الخلوتية هي: إحدى الطرق الصوفية السنية، وتنسب إلى محمد بن أحمد بن محمد كريم الدين الخلوتي، المتوفى في مصر سنة ٩٨٦ هـ، وهو من أئمة الصوفية في خراسان في القرن العاشر الهجري.

وينسبها البعض ومنهم الشيخ السبكي إلى محمد بيرام الخلوتي.

والخلوتي: نسبة إلى الخلوة الصوفية، كان من أتباع الطريقة السهروردية وأخذ التصوف عن إبراهيم الزاهد، ثم استقل بطريقته، وتفرغ لجمع الأتباع وتعليم المريدين.

(٢) يراجع: ترجمة الشيخ الإمام محمود خطاب السبكي ٣/١، و: في صحبة الشيخ محمود خطاب إمام السنة وقطب الأقطاب ص٢١، ٢٢.

يقول الشيخ السبكي: " في سنة ١٢٩٣ هـ رأى لي رؤيا بعض الإخوان الصالحين، فقصَّها على العارف بالله تعالى إمام السالكين حضرة سيدي الشيخ أبي جبل السبكي- رحمه رب العالمين- ، فأحضرني وخاطبني خطاب العارفين، وعاهدني على القيام بخدمة من بيده منح الطالبين، فصرت بعد ذلك لا يطيب لي منام، ولا يلذ لي شراب ولا طعام ولا كلام، وأرى من الإشارات الإلهية ما يبري الكلام، ويشرح عن مفردات مخدرات المعارف اللثام، ففي زمن قريب تم ما أراده القريب، فأمرني بدخول خلوة التهاني، والقطف من ثمار البعد والتداني، والإرشاد والإبعاد لمن يعاني، والحفظ لمن أبداه ينبوع الأماني.

كل ذلك وأنا أُمِّي لم أقرأ ولم أكتب، ولم يمارسني مُعلِّم من الخلق ولم أذهب مع المتعلمين إلى المكتب "[1].

وبهذا يتضح أن صلة الشيخ السبكي بالتصوف بدأت منذ وقت مبكر، وهو في سبك الأحد، قبل تلقيه العلم وقبل التحاقه بالأزهر، كما يتضح أن صلته بالتصوف بدأت من خلال الشيخ أبي جبل السبكي الذي سلك سبيل الطريقة الخلوتية بعيدا عن كثير من الطرق الصوفية التي كانت منتشرة في القرية، والتي كان بعض شيوخها يقبلون العوائد والهدايا، بل ويفرضونها في أعيان أخرى.

ومن هنا مالت نفس الشيخ السبكي إلى الشيخ أبي جبل، وأصبحت الطريقة الخلوتية أقرب الطرق الصوفية إلي قلبه، على الرغم من أنه عرف طرقا كثيرة، كالرفاعية والشاذلية الأحمدية، فقد رأى أن سلوكه سبيل الطريقة الخلوتية جاء تحقيقا لإرادة الله تعالى؛ نظرا لشرف حالهم وصحة طريقتهم ومطابقتها للكتاب والسنة[2].

وفي ذلك يقول الشيخ السبكي: " إن الله أحسن بي إذ منَّ عليَّ بما لا يحصى من

(١) أعذب المسالك المحمودية ٣١٤/٤، ٣١٥.

(٢) يراجع: لمحات من تاريخ الإمام محمود خطاب السبكي ص٣١.

عظيم النعم وجعلني مبرَّزاً في حبه تعالى وحب رسوله ﷺ سيد العرب والعجم، وأطلعني تعالى على ما حجبه عن غيري من ذوي الهمم، وسلك بي ﷻ طريق الصوفية الذي هو السبيل الأسلم، وأدخلني ﷻ الخلوة الكبرى التي هي ينبوع الفلاح الأقوم "[1].

وقد ذكر الشيخ السبكي نسبه في الطريق، مؤكدا انتسابه إلى الطريقة الخلوتية، ومشددا على أن معرفة نسب الطريق أوكد من معرفة النسب من جهة الأب؛ لأن أباه من جهة النسب مربي الجسم، وأباه من جهة الطريق مربي الروح، والجسم يفنى والروح تبقى، فهي التي عليها المدار وبها الفلاح في هذه الدار وتلك الدار.

فذكر أن نسبه في الطريق وإعطاء العهود وتلقين الذكر وإدخال الخلوة وغير ذلك من لوازم الطريق؛ يبتدأ بالشيخ أحمد محمد أبي جبل السبكي، الخلوتي طريقة، الذي أخذ عنه العهد، ثم ذكر سلسلة طويلة من أعلام التصوف، تنتهي إلى سيدنا محمد ﷺ عن جبريل عليه السلام عن رب العالمين ﷻ.

ثم بين الشيخ أنه إذا عاهد أحدا وأطلقه يكون مراده الطريقة الخلوتية.

ومع هذا يذكر الشيخ السبكي أنه تلقى العديد من الطرق الأخرى غير الخلوتية، مثل الرفاعية والشاذلية والنقشبندية والبيومية والأحمدية والإبراهيمية، وغير ذلك من الطرق المشهورة، وأنه أُذن له من أربابها المعوَّل عليهم بالتسليك فيها[2].

ويقول في ترجمته لنفسه: " محمود بن محمد بن أحمد خطاب السبكي... الخلوتي الرفاعي الشاذلي الأحمدي البيومي البكري "[3].

إلا أن الشيخ السبكي آثر الطريقة الخلوتية؛ لما اختصت به من مزايا سنية منها:

" أن السائر فيها كأنه سائر في جميع طرق الله تعالى، وأن الجن لا يؤذون أحدا

(١) فتاوى أئمة المسلمين بقطع لسان المبتدعين ص٥.

(٢) يراجع: العهد الوثيق لمن أراد سلوك أحسن طريق ص٨٧، ٩٠.

(٣) الرسالة البديعة الرفيعة في الرد على من طغى فخالف الشريعة ص٣.

من سالكيها، أن لا تنزوي الدنيا عن أحد منهم، أن لا تغرق سفينة وفيها واحد منهم..."[1].

ثم بين الشيخ أن نسبه وسنده في سلوكه الطريق إنما هو بظاهر الحال، أما الحقيقة فهي أن سلوكه الطريق إنما هو بواسطة صاحب الشريعة ﷺ من غير أن يكون لأحد من الأشياخ دخل في ذلك.

وقد ذكر الشيخ أن سلوك جميع الطرق مشروط بالتمسك بالكتاب والسنة، وأن أهل الطريق بريئون في الدنيا والآخرة ممن خرج عنهما، وأن من انتسب إلى طريقة منها وهو مخالف للسنة فهو كاذب في دعواه مطرود عن كل خير وعليه غضب الله، فهو أضر على الدين من ألف شيطان؛ لأنه ينعكس حاله عن المغفلين، فتراهم على مشايخ الضلال عاكفين ولمن يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر كارهين[2].

وبما تقدم بات واضحا انتماء الشيخ السبكي إلى الطريقة الخلوتية، وتقديمه لها على ما سواها من طرق أخرى، مبينا ضرورة التمسك بالكتاب والسنة في سلوك أي طريق من طرق التصوف.

ومن هنا شدد الشيخ النكير على من خالفهما باسم التصوف مرتكبا للبدع والمنكرات، فتتبع الشيخ جل هذه البدع وتلك المنكرات، مبينا أن التصوف الصحيح منها براء، وهذا ما أُلقي عليه الضوء من خلال المبحث الثاني....

ومما تجدر الإشارة إليه أن الشيخ السبكي لم يكتف بانتمائه إلى الطريقة الخلوتية وأخذه العهد عن شيخه أبي جبل، بل إنه ارتقى في انتمائه للتصوف حتى صار من أشياخه، وأصبح له مريدون يأخذون العهد على يديه، فكان يجمعهم على الذكر حتى تُبح أصواتهم، ويلقنهم العهد حتى صاروا شيوخا يبايعون روادهم، ولا

(١) أعذب المسالك المحمودية ٢/٢٤٣.

(٢) يراجع: العهد الوثيق لمن أراد سلوك أحسن طريق ص٨٧، ٩١.

يزال عطاؤهم متواصلا، ومن هؤلاء النفر الذين بايعوا الشيخ ولقنهم العهد، الشيخ عبد القادر حنفي، والشيخ عبد الله العفيفي، والشيخ عبد الفتاح سعد، وغيرهم[1].

كذلك كان للشيخ نصيب وافر من كرامات الله عليه، ومن ذلك ما أورده محقق كتابه العهد الوثيق لمن أراد سلوك أحسن طريق، من كرامات الشيخ، لعل أبرزها:

تحقيق الاستقامة في القول والفعل والحال، وسيرته العطرة تشهد بذلك، ويكفيك أن تملي عينيك من وجهه البهي الندي لتبصر أي نور عبقري يشع من ذلك النور المحمدي.

كما أن الكثير ممن عاصروا الشيخ يوقنون أنه كان دائم الشهود لسيد الوجود ﷺ، فما أكثر من رأوا الشيخ بصحبة النبي ﷺ مما لا طاقة باستقصائه.

وأما مكاشفاته ﷺ فكثيرة، منها: أنه قد بارت تجارة رجل وأشرف على الإفلاس، فحدثته نفسه أن يذهب للشيخ فيطلب منه مبلغا معينا يستنقذ به تجارته، فلما صلى الفجر معه وسلم عليه، انعقد لسان الرجل خجلا أن يسأله، فإذا بالشيخ يقول له انتظرني، وما هي إلا هنيهة وإذا به يدس في يده مظروفا، فلما فضه وجد به نقودا، فلما عدها وجدها تماما على القدر الذي كان سيطلبه من الشيخ.

وأما الحديث عن كراماته ﷺ فهو غيث مدرار، من أشهرها ما أقسم على حدوثه عالم الجمعية الشيخ عبد الفتاح سعد، من أنه رآى الشيخ بعد وفاته في منامه، كأنه يزوره في منزله، فأراد أن يقدم للشيخ واجب الضيافة فلم يجد، فإذا بالشيخ يُخرج برتقالة، فيقسمها نصفين، فيأخذ نصفا ويعطي الشيخ عبد الفتاح النصف الآخر، فانتبه الشيخ من منامه فإذا به يجد ذلك النصف من البرتقالة على وسادته إلى جوار رأسه[2].

(١) يراجع: العهد الوثيق لمن أراد سلوك أحسن طريق ص٢٧، ٢٨.

(٢) يراجع ص٢٠- ٢٤.

وبهذا يتأكد أن الشيخ السبكي كان صاحب قدم راسخة في طريق التصوف الصحيح على هدي من كتاب الله وسنة نبيه ﷺ.

ولذا شمر عن ساعد الجد لمواجهة البدع والمنكرات التي سادت التصوف في عصره، وهذا ما نتعرف عليه من خلال المبحث الثاني....

المبحث الثاني

مواجهة الشيخ محمود خطاب السبكي للبدع والمنكرات التي سادت التصوف في عصره

لم يكتف الشيخ السبكي بدور التأصيل للتصوف الصحيح الموافق للكتاب والسنة وتقعيد قواعده؛ وإنما راح الرجل يرصد مظاهر الانحراف التي يعج بها واقع التصوف، وشوهت معالمه، وقوضت أركانه، وجعلت ساحاته هدفا للطاعنين عليه.

لذا قام الشيخ بمواجهتها وبيان زيفها ومعارضتها للتصوف الصحيح، والتأكيد على أن أصحاب هذه الانحرافات والمنكرات لاحظ لهم من التصوف الصحيح، فهم لا يمثلونه ولا يحملون منه إلا اسمه، دون أن يرتقوا إلى حقيقته وجوهره.

فأراد الشيخ أن يُنقِّي التصوف من البدع والمنكرات والشعوذة والدجل والخرافات التي لحقت به، فجعلت التصوف مجرد ألفاظ يتداولها أتباع الطرق، مدَّعين أن الشريعة تخالف الحقيقة، فاللحن في أسماء الله انجذابا، واتخاذ المرقعات والعمائم ذات الألوان مظاهر على الولاء والوصول، وجمع الموائد والأموال فروضا وواجبات، كل ذلك دون سند أو دليل، فواجه الشيخ بدع الطريق وبدع المشايخ من خلال دروسه ولقاءاته الدعوية، وقيامه بتأليف الكتب التي حوت آراء أئمة العلم في بيان زيف هذه البدع والمنكرات[١].

وفيما يلي نعرض أهم البدع والمنكرات التي واجهها الشيخ محمود خطاب السبكي:

أولا- بدع تتعلق بالطريق الصوفي:

وهي كثيرة أذكر منها ما يلي:

١- بدع تتعلق بمجالس الذكر وما يحدث فيها:

عدَّ الشيخ السبكي الذكر شرطا ثانيا لسلوك الطريق الصوفي، مبينا فضله

(١) يراجع: لمحات من تاريخ الإمام محمود خطاب السبكي ص٧٢.

والأخبار والآثار الواردة فيه، وبيان فضله وفوائده وضبط صيغه.

ثم رصد صورا من انحرافات الصوفية في الذكر مبينا زيفها ومخالفتها للكتاب والسنة، ومن ذلك:

أ- تحريفهم للفظ الجلالة:

ذكر الشيخ السبكي أن بعض الذين يُنسبون إلى الصوفية- وما هم منهم ولكنهم قوم لا يفقهون- يحرفون لفظ الجلالة، وافترقوا في تحريفه فرقا شتى:

فمنهم من يقول لا إيلها إلا الله بإشباع همزة إله فتولدت عنها ياء، ومد هائه فصارت على صياغة المثنى، وإشباع همزة إلا فتولدت عنها ياء، وإثبات ألفها مع شدة صوت غليظ.

ومنهم من يقول: لا يلها إلا الله بتفخيم أداة النفي مع إخراجها من أقصى الحلق والغلظ، وإبدال همزة إله ياء وإشباع هائه فتولدت عنها ألف، وقصر لفظ الجلالة جدا عن المد الطبيعي، مع قوة صوت منكر، و(خروشة) من الجوف كصوت الناهق من الحيوانات ويسمونه تدويكا.

ويزجرون أتباعهم إذا ذكروا بالاسم خالصا كما جاء به القرآن.... ويوبخونهم على ذلك، ويقولون لهم أخرجوا الدوكة من جوفكم بقوة وغلظ صوت لتستنير قلوبكم. وربما طردوا من لم يوافقهم على هذا الصنيع من مجلسهم، ويقولون له: أتلفت علينا المجلس، أو نحو ذلك من الأقوال القبيحة.

ومنهم من يقول لا إلها، بالوقف على إله بصيغة التثنية، ثم يبتدأون بإلا الله. وتارة يقفون على إلهْ بالسكون بدون ألف، ويبتدأون بإلا الله، مع صوت تمجه الأسماع والطباع السليمة. وتارة يقولون: لوم لوم إلا الله بتفخيم اللام وضمها مع الفظاظة الشديدة والإشباع، فتولدت عنها واو، وإبدال الألف ميما ساكنة، وقصر لفظ الجلالة جدا عن المد الطبيعي. وربما أسرعوا فلا تسمع لهم إلا أصوات كأصوات زوم النابحين على الجيفة..

ومنهم من يقول: آلله آله بمد الهمزة مع التفخيم الغليظ، وتارة يقولون: أللهْ أللهْ

بالسكون مع القصر..، وتارة يقولون: آله آله بهمزة ممدودة ولام قوية الغلظ وهاء ساكنة.

ومنهم من يقول: إه إه بهمزة مكسورة أو مفتوحة وهاء ساكنة.

ومنهم من يقول: أح أح بهمزة وحاء ساكنة.

ومنهم من يقول: الله حاي يقصر لفظ الجلالة مع سكون الهاء، ومد حي نحو العشر حركات مع صوت هائل كصوت من يعالج إخراج حصاة من صدره "[1].

وغير ذلك من مخالفات أوردها الشيخ السبكي على هيئة سؤال جاء على لسان سائل يستفتي الشيخ السبكي في حال هؤلاء الصوفية وطريقة ذكرهم، فقال في الجواب عما ورد في السؤال: ذكر الله تعالى الوارد في فضله الكتاب العزيز والسنة المقدسة هو المتلقى من رسول الله ﷺ بالطرق المتواترة والآحاد الصحيحة، ومن المعلوم أنه عليه الصلاة والسلام أفصح العرب وأبلغهم، وأصحابه الآخذون عنه هم من الفصاحة والبلاغة بالمكان الأعلى واللسان الأغلى، والقرآن العزيز والسنة المطهرة إنما أُخذا عنهم على الحال الواصل إلينا بطريق التواتر أو الآحاد الصحيحة من المد أو القصر والتفخيم والترقيق والإدغام أو الفك ونحو ذلك. وأن أسماء الله تعالى توقيفية على الصحيح...

فلابد من ذكره تعالى بلا إله إلا الله على الوجه الوارد عن رسول الله ﷺ وعلى ما يعلمه العلماء والقراء من مد (لا) وتخفيف وقصر همزة (إله)، واتصالها بأداة الاستثناء، واتصال أدة الاستثناء باللفظ الأعظم وترقيق اللام مع حذف الهمزة من الله، ومع تفخيم اللام منه، ومع المد وقصر الهاء أو الوقف عليها. فإذا ابتدئ باللفظ الأعظم حققت الهمزة مع الكيفيات المتقدمة...

وهذا ما تقتضيه اللغة العربية التي نطق أفصح الخلق بها ﷺ، وكل ما خالف ذلك مما ذُكر وما لم يُذكر؛ ما أنزل الله به من سلطان، بل مما اخترعه الشيطان

(١) فتاوى أئمة المسلمين بقطع لسان المبتدعين ص١٥٦، ١٥٧.

ولقنه لأتباعه أهل الطغيان، وليس من الذكر في شيء، بل هو النكران والخسران، وهو حرام قطعا؛ لما فيه من تقطيع أسماء الله تعالى وتحريفها واللعب بها، وتسميته تعالى بما لم يرد في كتاب ولا سنة ولا إجماع..، وحينئذ يجب إنكاره وتغييره باليد لمن قدر، فإن لم يقدر باليد فباللسان، فإن لم يقدر فبالقلب. ولا يجوز حضور مجالسهم ولا الاستماع لهم؛ لأنهم في معصية يستحقون عليها التعزير. وموافقتهم والرضى بأفعالهم شريك لهم في سخط الله وغضبه، نعوذ بالله من ذلك[1].

ب- الرقص والتصفيق في الذكر:

من منكرات الذكر التي يرتكبها الصوفية الرقص والتصفيق والنباح وضرب الطبول ونحوها في المساجد، وضربهم بالكاس أو الباز أو الغابة حال الذكر ورفع الصوت، وما يصنعه بعضهم من وضع السبحة في عنقهم أو في أيديهم يدورونها يمينا وشمالا دون ذكر، فقد أورد الشيخ أقوال العلماء والمشايخ في الحكم على هذه السلوكيات بأنها من أقبح البدع، ومخالفة لسنة رسول الله ﷺ وفعل السلف والصالحين، وأن ضربهم بالكاس أو الباز أو الغابة حرام سواء حال الذكر أم غيره، مؤكدا أنها أمور مبتدعة وأحوال مخترعة ما أنزل الله بها من سلطان، فقد أنكر النبي ﷺ على من يرفع صوته بالذكر، وإذا كان هذا حال رفع الصوت بالذكر وحده؛ فما بالك به مع العبث بالأيدي.

وأما الرقص والتصفيق فخفة ورعونة مشابهة لرعونة الإناث، لا يفعلها إلا أرعن أو متصنع جاهل.

وأما وضع السبحة في العنق أو اليد بدون ذكر؛ فهو فعل المرائين الذين يحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا.

والطريق إلى الله سبحانه وتعالى هي متابعة نبيه ﷺ، وما سوى ذلك ضلال.

(١) فتاوى أئمة المسلمين بقطع لسان المبتدعين ص١٥٨، ١٦٠ باختصار، ويراجع: أعذب المسالك المحمودية ١/٤٥٦- ٤٦٢، و: الرسالة البديعة الرفيعة في الرد على من طغى فخالف الشريعة ص٥، ١٣، ١٤.

والأعجب من ذلك اعتقادهم أن ما هم عليه هو الطريق، وبئس هذا التصديق، فأولئك ليس لهم من التصوف إلا رسمه ومن العلم إلا اسمه، والخير كل الخير في اتباعه ﷺ[1].

جـ- جملة من المخالفات المرتبطة بالذكر:

وقف الشيخ السبكي عى جملة من المخالفات التي تقع من الصوفية وترتبط بالذكر، وبين زيفها وما يقع من تجاوز لشرع الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، ومن ذلك ما يفعلونه من السياحة في البلاد وبين أيديهم الرايات والأعلام ذات الأسماء المتعددة والألوان المتنوعة، ومن ذلك ما يصنعونه في الموالد والجموع الكبيرة، حيث يقفون حلقة، ويجتمع بعضهم في جانبها الشرقي مثلا وبعضهم في جانبها الغربي، ويقولون كلاما بأصوات مرتفعة، لا يعرفه إلا من سألهم عنه؛ لعدم بيان حروفه ويسمونه سلفية أو غير ذلك. ثم يقف بعضهم في مقابلة بعض، ويقولون: يا أله يا أله برفع أصواتهم مع صعود أيديهم وهبوطها. ثم يعودون للحالة الأولى، وهكذا إلى ثلاث مرات. ثم بعد ذلك يدور بعضهم واضعين أيديهم على مناكب بعض، ويذكرون بأذكارهم المعلومة دائرين في وسط الحلقة يصافحون أهلها، وهكذا مرة بعد أخرى ويسمونه بالسلام، كما هو يشاهد منهم في نحو مولد العارف الرفاعي والليالي ذوات العمدان.

وتارة يجمعون إخوانهم في الليالي ويذكرون الله ذكرا محرفا خارجا عن الآداب الشرعية، وإن نهوا عن ذلك يقولوا: نحن أهل حقيقة فلا تسري علينا أحكام الشريعة[2].

(١) فتاوى أئمة المسلمين بقطع لسان المبتدعين ص١٤، ١٧٣ باختصار، ويراجع: أعذب المسالك المحمودية ١/٤٦٣، و: الرسالة البديعة الرفيعة في الرد على من طغى فخالف الشريعة ص٢٢، ٣٠، ٣١.

(٢) يراجع: فتاوى أئمة المسلمين بقطع لسان المبتدعين ص٨، ١٧٣، ١٧٤، و: الرسالة البديعة الرفيعة في الرد على من طغى فخالف الشريعة ص٢٨، ٢٩.

فأورد الشيخ السبكي أقوال العلماء في حرمة هذا الذكر الذي يقوم به جهلاء الصوفية، مبينا افتراءهم على العلماء في نسبتهم إليهم القول بجواز هذا الذكر واستحسانه، كالحافظ ابن حجر وغيره.

فبين الشيخ السبكي أن ابن حجر قد شمر عن ساعد الجد في إزالة افتراء هؤلاء الجهلة، الذين اخترعوا هذه الألوان من عند أنفسهم.

يقول الشيخ السبكي: " والحاصل أن بعض الملحدين الذين لا يخافون رب العالمين جعلوا كل قبيح شعارهم، وتركوا كتاب الله وسنة نبيهم، ثم زادوا طغيانا على طغيان مبين، فقالوا ما نحن عليه من الذكر والرقص.. نصٌ على جوازه أئمة الدين؛ فعكسوا حقائق الأمور، وغيروا ما قاله الله تعالى ورسوله ﷺ وأئمة المؤمنين وما هو في الكتب المعول عليها مسطور.

ألا ترى أنهم كذبوا على الحافظ، حيث قالوا إنه يقول بجواز أذكارهم بالأكاذيب التي اختلقوها ونسبوها له...، مع أنه ﷺ نصٌ على حرمة كل ما خالف الشريعة المطهرة، وشنع على من اتصف بذلك أشد تشنيع..، ونص على حرمة الرقص بخصوصه، وأنه من فعل الكفار عباد العجل، لا من فعل المؤمنين...

فانظر يا أخي كيف قلبوا نصوص القرآن والسنة والأئمة العدول، وحرفوا الكلام عن مواضعه؛ ليضلوا أنفسهم وكل جهول.. "[1].

ومن هنا كرر دعوته مرة أخرى ضرورة الالتزام بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وعدم الاغترار بما يخالفهما مما افتراه الجاهلون، فأي عبارة تخالفهما يُضرب بها عرض الحائط، وتُوضع تحت النعال[2].

أما تسمية ما يفعلونه سلفية، فالسلف برآء من ذلك، وإنما هو من ابتداع الخلف الذين هم معدن البدع والسرف.

(١) الرسالة البديعة الرفيعة في الرد على من طغى فخالف الشريعة ص٢٦، ٢٧.

(٢) يراجع: نفس المرجع ص٢٧.

فكل خير في اتباع من سلف وكل شر في ابتداع من خلف[1].

٢- بدع تتعلق بالموالد وما تشتمل عليه من منكرات:

من البدع التي لحقت بالتصوف إقامة العديد من الموالد التي يجتمعون فيها، واشتمالها على العديد من المنكرات والمخالفات الشرعية.

ولخطورتها وخطورة ما يقع فيها من مخالفات أولاها الشيخ السبكي عناية فائقة، فلا تجد مؤلفا من مؤلفاته إلا وقد أشار إليها وندد بما يحدث فيها.

ولذا راح الشيخ السبكي يؤرخ لها، فاضحا لما يقع فيها، مبينا مخالفته للكتاب والسنة؛ فبين أن الاحتفال بالموالد أمر محدث، أحدثه الفاطميون في القرن الرابع الهجري، فابتدعوا ستة موالد: المولد النبوي، ومولد سيدنا علي، ومولد السيدة فاطمة، ومولد الحسن والحسين ﷺ، ومولد الخليفة الحاضر.

فكانوا يرتكبون في هذه الموالد من المفاسد والمنكرات والبدع والخرافات والضلالات ما لا يقبله عقل ولا يرضى به ذو لب، ظنا منهم أنها من الدين والدين منها براء.

ولما ألف الناس هذه العادات القبيحة؛ حافظوا عليها وعضوا عليها بالنواجذ، حتى شق على نفوسهم تركها والتحلل منها، كأنها من هدي الرسول الأعظم ﷺ.

ومما يؤسف له رضا الحكومات بما يفعله أرباب الطرق، وإذنها بإقامة هذه الموالد، بل ومشاركتها لهم في باطلهم، فأصبح الاحتفال بها رسميا؛ فعم الفساد، وسُدَّت المسالك أمام المصلحين، ولاقوا الشيء الكثير من عنت المتعنتين من أرباب الطرق وغيرهم، الذين يظنون أنهم يحسنون صنعا وقد خلطوا عملاً صالحًا وآخر سيئا، بل كل أعمالهم سيئة.

والأدهى من ذلك كله سكوت بعض العلماء على تلك البدع وعدم إنكارهم إياها وعدم مطالبة الحكومات بإزالتها، فمع أن مسؤليتهم كبيرة إلا أن مسؤلية رجال

(١) يراجع: نفس المرجع ص٣٠.

الحكومة أكبر؛ لأن الله يزغ بالسلطان ما لا يزغ بالقرآن[1].

ثم راح الشيخ يبين حكم الشرع في حرمة إقامة الموالد بسبب ما يقع فيها من فساد ومنكرات، وفي ذلك يقول: " اعلموا أن عمل الموالد من البدع التي أدت إلى جملة من المحرمات، من ذلك اختلاط النساء بالرجال، ووقوع أقبح الفواحش من الأقوال والأفعال، وصرف المال في غير ما أمر به الله؛ تذهب النساء والبنات والشباب إلى ذلك، فيقعن في أفظع المهالك، ويظنون أنه سعي لطاعة الله ورضاه.

كلا بل هو سعي إلى دمار وهلاك، وخزي في مبدأ الأمر ومنتهاه.

ألم يعلموا أن النظر إلى النساء غير الحلائل حرام؟ فضلا عن الزنا ونحوه واختلاط الأجسام، وصرف المال في معصية أسرع الحاسبين، ولا سيما إذا كان محتاجا إليه لنفقة نفسه أو أهله أو العيال.

وعمل الموالد وسيلة إلى هذه الأمور، وما كان وسيلة إلى محرم أو مكروه يُعطى حكمه كما هو معلوم "[2].

وقد وجه إلى الشيخ السؤال التالي: ما حكم أعمال الموالد التي اشتملت على آلات الملاهي واختلاط النساء بالرجال وصرف المال فيها والإعانة عليها والحضور فيها؟

فأجاب: هذه الموالد التي اشتهر أمرها، يجب على ذوي القدرة منعها، ولا يجوز لمسلم حضورها وصرف المال فيها وفي إقامتها؛ لأن ذلك من الإعانة على المنكر، وهو حرام بالإجماع[3].

ويقول في المقامات العلية في النشأة الفخيمة النبوية: " ومن البدع المحرمة ما ترى العينان من الموالد التي فشت في كل آن، مع اشتمالها على اختلاط الرجال بالنساء، ونظر بعضهم لبعض، أو للمرد الحسان من الولدان، وزيادة الوقود التي

(١) يراجع: الدين الخالص ٥/٦٨- ٧٠.
(٢) هداية الأمة المحمدية في الحكم المحمودية السنية ص٥٩.
(٣) فتاوى أئمة المسلمين بقطع لسان المبتدعين ص١٧٤.

يتفاخر بها مرتع الهذيان، وفظيع الفواحش التي تقرب من عبادة الأوثان، وإنفاق نفائس الأموال فيما يُغضب الديان، بمشهد من العلماء والأعيان. فقد غرقوا في محيط الخسران. وبلغ نهاية مراده منهم الشيطان. وظنوا أنهم سلكوا مسالك الإحسان.

هكذا نتيجة الخروج عن سنة خير الأنام عليه الصلاة وأبهى السلام"[1].

ثانيا- بدع تتعلق بمشايخ الطرق:

اتضح من خلال الفصل الأول تفرقة الشيخ السبكي بين الصوفي الحقيقي الملتزم بالكتاب والسنة وبين أدعيائه، ولذا حمل عليهم وعلى ما يقع منهم من بدع ومنكرات، واهتمامهم بالظاهر والرسوم والأشكال وتعلقهم بالشهوات والشبهات.

ولعل انتماء الشيخ إلى الطريقة الخلوتية أتاح له الاختلاط بكثيرين ممن ينتمون إلى طرق أخرى والاطلاع على أحوالهم.

فقد سمع الشيخ منهم الأذكار المحرفة، ورأى الألعاب البهلوانية، وشاهد ممن يتظاهر بأكل النار والحيات والزجاج، وعاين الضرائب التي يجبيها مشايخ الطرق من مريديهم، وأبصر النذور والهدايا التي تقدم إليهم كأنها مسوقة إلى حرم الله تعالى، أو مبذولة إلى عيال الفقراء والمحاويج.

فحمل الشيخ عليهم حملة شعواء وأبان للعامة أنهم على غير هدي، وأن ما يقدم لهم من الضرائب حرام وسحت، وكل لحم ودم نبت من حرام فالنار أولى بهما، وأن الطرق الصوفية ليست حِرَفا ولا مهنا؛ بل هي بأذكارها المحرفة وضرائبها ونذورها شارةٌ سوداء تشوه جمال الدين الإسلامي، وتجعل الأجانب الغربيين أعداء الدين ينظرون إليها نظرة السخرية والازدراء، في حين أن الدين منهم براء، وأن سيدنا محمد ﷺ يمقت هؤلاء[2].

(١) ص٦٥.
(٢) **يراجع:** ترجمة الشيخ الإمام محمود خطاب السبكي ١/٧.

فقد رصد الشيخ لهم الكثير والكثير من المخالفات الشرعية التي ضلوا بها عن طريق التصوف الصحيح وأضلوا غيرهم ممن اغتر بهم، واعتقد فيهم الكرامة والولاية، فقد فضح الشيخ أمرهم وحذر العامة من الوقوع في شراكهم ووبال شرهم.

ومن المنكرات التي واجهها الشيخ ووقعت ممن ينسبون أنفسهم إلى الطريق ما يلي:

١- ادعاؤهم الولاية الكبرى وأنهم من الواصلين:

يقول الشيخ السبكي: " ادعوا الولاية الكبرى وهم أضل من الأنعام، وحادوا عما جاء به المصطفى عليه الصلاة والسلام، وصار كل من رآى منهم في غفلته واردا من الشياطين ظن أنه رحماني وأنه صار من المتمشيخين.. فيصير في اتباعه كأنه نبي ورسول، فيأكل أموال الناس بالباطل، ويزعمون أنه من الواصلين.. ويا ليت شعري هل اشتغلوا بدل ذلك بمعرفة ما جاء به من عند القدير البشير النذير، من الأصول والفروع حتى يفرقوا بين الفتيل والنقير والقطمير، ويميزوا بين الحلال والحرام "[١].

وقد نقل عن الشيخ المتبولي (مات سنة نيف وثمانين وثمانمائة) قوله: "وكيف يدعي الوصول من هو عن عبوديته مفصول، ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ** ﴾[٢].

وكيف يدعي الإيصال من هو عن الحقيقة في انفصال، ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ** ﴾[٣]"[٤].

(١) أعذب المسالك المحمودية ١/٣٨.
(٢) سورة الذاريات: ٥٦.
(٣) سورة فصلت: ٣٠.
(٤) أعذب المسالك المحمودية ١/٤٨٩.

٢- ادعاؤهم الإخبار بالغيب:

ادعى بعض أرباب الطريق القدرة على علم الغيب والإخبار به دون سند من كتاب أو سنة، فراح الشيخ السبكي يكذب دعواهم ويحذر من الاغترار بهم، فقد ذكر الشيخ بعض من يدعون أنهم مشايخ وصوفية تعاهدوا مع الشيطان على الكفر برب البرية مقابل أن يخبروهم ببعض الأمور الخفية.

ثم قال لمن اغتر بهم: " معاذ الله أن يضع سرا من الأسرار فيمن خالف كتابه العزيز أو سنة السيد المختار عليه الصلاة وأبهى السلام. وليس عندكم ميزان تعرفون به كل إنسان إلا الشريعة المحمدية، فمن وجدتموه مخالفا لها فهو في هلاك وأعظم بلية، ولو كان شيخ مشايخ الإسلام، أو يدعي أنه قطب الوقت يخبر بما في الأرحام.

ومن وجدتموه عاملا بشرع الرسول فهو الذي عند الله ﷻ مقبول، فالقرب منه رضوان والبعد عنه خسران "[١].

٣- ادعاؤهم بأنهم من أصحاب الكرامات وخوارق العادات:

بعض أرباب الطرق اتخذوا من أكل النار والزجاج واللعب بالثعابين صنعة، من أجل إيهام العوام بأن هذا من الكرامات وخوارق العادات؛ فقد بين الشيخ السبكي أن ما يقع منهم ليس من الكرامات في شيء، وإنما هو من قبيل الدجل والخرافات والخزعبلات، وليس من التصوف في شيء.

وكذا ادعاء بعضهم بأنه مجذوب، وإتيانه بما يخل بالآداب أو ينافي حرمة الدين، ويتخذون ذلك وسيلة للتعيش، ويزعمون بأن ذلك من الولاية[٢].

فتجرأوا على حرمات الله باسم التصوف، فتدينوا بالمخالفات وأكل أموال الناس بالباطل.

(١) المقامات العلية في النشأة الفخمة النبوية ص٥٨، ٥٩.
(٢) يراجع: فتاوى أئمة المسلمين بقطع لسان المبتدعين ص٢٠٤، ٢٠٨.

فإذا كان هذا حال متصوفة الزمان المتمشيخين الذين لا يهتدون إلى العمل بالشرع القويم؛ فما الظن بحال التلامذة القائلين لا نرضى بالشرع ولا نسمع كلام أحد غير شيخنا ولو جاءنا النبي ﷺ نفسه.

فاغتر كثير من العوام بما يقع منهم، حتى صار فعل هؤلاء المتمشيخين دليلا على جواز ارتكاب المخالفات، وعدم التعويل على نصوص القرآن وأقوال وأفعال رسول الله ﷺ وأصحابه والأئمة المجتهدين[1].

ومن هنا حذر الشيخ السبكي من هؤلاء الدجاجلة ونبه إلى عدم الاغترار بما يقع منهم، وفي ذلك يقول: " فلا تظن أنهم على بصيرة بعد مخالفتهم لكتاب الله وسنة رسوله النضيرة.

وقال بعض السادة الصوفية مقالة جليلة صفية:

إذا رأيت رجلا يطير ... أو فوق ماء البحر قد يسير

ولم يقف عند حدود الشرع ... فإنه مستدرج وبدعي

وارفضه إنه الفتى الدجال ... ليس له التحقيق والكمال

وفر منه إنه شيطان ... مخادع مُلَبِّس خَوَّان

فيا أولي الأبصار، احذروا واستعيذوا من هؤلاء الدجاجلة الأشرار برب العالمين وسيد الأخيار...، إذ البدع المحرمة والدعاوى الكاذبة لهم شعار"[2].

٤- ما يقع منهم في مجالس الذكر من بدع ومنكرات:

مر بنا الحديث عما يقع من أدعياء التصوف في مجالس الذكر من الإلحاد في أسمائه تعالى وتحريف لفظ الجلالة ومن الاختلاط المحرم والرقص والتصفيق، وقد عرض الشيخ السبكي لذلك تفصيلا.

غير أن الخطب يكون كبير حينما يقع ذلك ممن نصبوا أنفسهم أربابا للطريق؛

(١) يراجع: المقامات العلية في النشأة الفخمة النبوية ص١٦٩- ١٧٠.

(٢) أعذب المسالك المحمودية ٤٦٥/١.

لأنهم فوق ضلالهم يضلون غيرهم، ومن هنا وجه الشيخ دعوات لضرورة اتباع الكتاب والسنة وعدم الاغترار بهؤلاء المتمشيخين.

يقول الشيخ السبكي: " فيا أولي الطباع السليمة اتبعوا نصوص الأئمة ذوي الألباب والطريق المستقيمة، ولا تغتروا بما يخالفها من الخرافات الوخيمة.. مثل ما تقدم، كما اغتر به بعض القاصرين أرباب القريحة الذميمة، فصار يفتي الناس به ويردهم عن الطريقة المحمدية القويمة، فَضل وأَضل فصار من جنود الشياطين الرجيمة...، ومن عدل عن الشريعة المحمدية إلى غيرها فقد ضل ضلالا مبينا، فلا شرف له ولا ديانة، ولا يكون الله له معينا "[1].

ومن ثم بين الشيخ أن ذكر بعض العلماء المنسوبين للصوفية لله تعالى بالأذكار المخلة ليس دليلا على جواز تحريف الذكر؛ لأنهم ليسوا مشرعين، ولا فعلهم حجة، ولا مقدم على فعل وقول سيد المرسلين ﷺ[2].

وأما الرقص والشطاح والتصفيق، فقد أورد فيه قول الشيخ عبد الرحمن الأخضري (ت٩٥٣هـ) صاحب السلم:

والرقص والشطاح والتصفيق ... عمدا بذكر الله لا يليق

ثم بين الشيخ السبكي أن الرقص والشطاح والتصفيق سبب لنفرة الملائكة الذين يرغبون في حضور مجالس الذكر، وليس هذا فحسب بل إنه ينفر كل ذي طبع سليم، وبالغ الشيخ حتى قال: بل إنه ينفر الجمادات[3].

وأما اختلاط أرباب الطرق بالنساء فقد وضح أن فعلهم هذا خارج عن طريقة الصادق الأمين ﷺ، ولا سيما ما يقع من وضع أيديهم في أيدي النساء، ومعاهدتهن على أن يكن تلامذة لهم، وربما يختلي المتمشيخ بالمرأة الأجنبية، ويقول: أعلمها كيفية السير إلى الفتاح.

(١) أعذب المسالك المحمودية ٤٦٠/١، ٤٦٢ باختصار.

(٢) يراجع: أعذب المسالك المحمودية ٥٨٤/١.

(٣) أعذب المسالك المحمودية ٤٦٣/١.

ولا خلاف على حرمة الاختلاط بالنساء الأجانب والخلوة بهن بهذه الحجج الواهية، فإنها من أعظم الذنوب والجرائم، ولا سيما الاجتماع بهن في الخلوة، فإنه يوسوس لها حتى يوقعها معه في الفاحشة[1].

وكذا ما يقومون به من شرب الدخان والحشيش والأفيون في مجالس الذكر، بدعوى أن شرب ذلك يبلغهم حالة الوجد والسكر، ومن ثم قالوا بجواز الاكثار منه.

وقد أسهب الشيخ في بيان حكم الشرع في تناوله وأتى بأقوال الفقهاء والأطباء مبينا حرمة ذلك للضرر، وأن في تناول ذلك سخرية واستهزاءا بالذكر، فهو من أقبح النجاسات التي لا تليق بالذكر ومجالسه، وتتنافى مع التعظيم والوقار وتشعر بالإهانة للقرآن والأذكار وفاعل ذلك لا يؤجر بل يؤزر، والحرمة تعم كل من حضر ذلك وإن لم يشرب[2].

٥- تركهم العمل وفرضهم الضرائب والأموال على المريدين:

تحدث الشيخ السبكي عن ذم السؤال، مبينا " أنه لا يليق بمن يدعي التصوف الذي من شرطه الزهد في الدنيا أن يتعاطى مع ما ذمته الشريعة من السؤال لغير حاجة، كما يفعله فقراء هذا الزمان من سياحتهم في البلدان وأخذهم العوائد من حرام أوحلال، ويشددون على جبايتها، كأنهم يشاركون الملاك في الأموال"[3].

ومن هنا رأى الشيخ أنهم حولوا المشيخة إلى باب من أبواب الشحاته، ولذا فإنهم لا يصلحون أن يكونوا شيوخا، بل لا يصلح أن يسمى شيخا إلا هؤلاء الفلاحون وأهل الصنائع؛ لأنهم هم الذين يطعمون الشيخ، كأنهم يعدونه من عيالهم.

ومن هنا فإن هؤلاء المدعين لا يحبون إلا التلميذ الذي يطعمهم ويبرهم، فلذلك يقدمونه على أقرانه، ولا سيما إن كان يصطاد لهم المريدين..[4].

(١) يراجع: فتاوي أئمة المسلمين ص١٧٣، و: هداية الأمة المحمدية ص٣٢، ٤٠.
(٢) يراجع: الرسالة البديعة ص٤٠- ٥٥، وفتاوي أئمة المسلمين ص١٧٥- ١٨٤.
(٣) أعذب المسالك المحمودية ٤٨٤/١.
(٤) يراجع: أعذب المسالك المحمودية ٤٩٢/١، ٤٩٣.

وكانوا إذا عاهدهم أحد من الأغنياء حلفوه بالله ثلاثا ألا يتخذ شيخا غيرهم، ولو كان إمام الأولياء.

فقد جعلوا تمشيخهم وسيلة لسلب الأموال وملء بطونهم من بيوت الأرامل.

وإذا كان هذا حالهم من أكل أموال الناس بالباطل باسم التصوف، فقد بين الشيخ أن دخول هؤلاء المدعين في زي الصوفية لا لأجل فتوح، بل ليصير بين الناس كالعجماء الجموح، فيظهرون الورع عند شرب الماء القراح ويأكلون أموال الناس بالباطل ولا يخافون الكريم الفتاح[1].

نتائج البدع والمنكرات التي يرتكبها أدعياء التصوف:

بعد أن رصد الشيخ العديد من البدع والمنكرات التي يتمسك بها أرباب الطريق، نقل نصا طويلا عن أبي العباس الدينوري (ت ٣٤٠ هـ) بين فيه النتائج المترتبة على أفعال المتمشيخين المتشبهين بالصوفية، ومما جاء فيه أنهم: نقضوا أركان التصوف وهدموا سبيلها، وغيروا معانيها بأسماء أحدثوها، أي بأن أخذوا الأسماء الدالة على الأخلاق المحمدية فوضعوها للأخلاق الذميمة الدنية؛ ليظن الجاهل أنهم يتصفون بمعانيها الأصلية، وليس كذلك بل هم فرقة مخزية.

فقد سموا الطمع زيادة، وهي تعلق أنفسهم وتشوقها لما بأيدي غيرهم، والزيادة المحمودة إنما هي التعلق بالله وزوال الغفلة عنه.

وسموا سوء الأدب إخلاصا... وسموا الخروج عن الأدب شطحا بأن يجري على ألسنتهم كلمات لا تشهد لها الشريعة بالصحة...، وسموا التلذذ بالمذموم طيبة، أي شيء يُتطيب به...، وسموا اتباع الهوى كحب امرأة ونحوها ابتلاء، حتى إذا عوتب فيه يقول أنا مبتلى...، وسموا الرجوع إلى الدنيا وصولا..، وسموا سوء الخلق صولة...، وسموا البخل جلادة...، وسموا بذاءة اللسان وهي أن يذكر العبد عيوب أخية ملامة...، وسموا السؤال عملا، مع أن ذلك من الجهل والدناءة، وما هكذا كان طريق القوم[2].

(١) يراجع: أعذب المسالك المحمودية ٤٩٢/١، ٤٩٣، و: فتاوى أئمة المسلمين ص١٧٣.
(٢) يراجع: أعذب المسالك المحمودية ٤٨١/١- ٤٨٤ باختصار شديد.

ثم عقب الشيخ السبكي على حال هؤلاء الأدعياء قائلا: " كيف يكونون أشياخا مسلكين وهم لا يصلحون أن يكونوا تلامذة لبدايات الصالحين؛ إذ شرط المريد أن يكون عالما عاملا بما فرض وأمر به المجيد، زاهدا فيما يفنى من الحطام، راغبا فيما يبقى، مراقبا في جميع أحواله السلام، متبعا لسنة سيد الأنام، منكسر الفؤاد متواضعا لله ولإخوانه على الدوام... إلى غير ذلك مما هو معلوم لأهل الدراية الذين يعرفون شروط البدايه والنهاية.

وإذا كان مثل ذلك مطلوبا للمريد؛ فما بالك بشروط من يُرد المشيخة بين العبيد..."[1].

ثم بين الشيخ السبكي أن اتباع هؤلاء المتمشيخين والاقتداء بهم لا يجوز؛ لأنه لا خير فيهم لجهلهم بأوامر الله ونواهيه، ومع ذلك يزعمون أنهم من أفاضل الناس وأكابر الصوفية.

ومن هنا فإنه لا يليق بعاقل أن يجالسهم فضلا عن أن يتخذ منهم شيخا يدله على الطريق الموصلة إلى الله تعالى[2].

ثم نقل الشيخ السبكي نصوصا كثيرة عن أهل الطريق الحقيقيين تبين مدى التزامهم بالكتاب والسنة وتحذيرهم من البدعة في كافة الأمور صغيرها وكبيرها، بما يبرز نقاء وصفاء أهل الطريق الحقيقي الذي لا يشذ عن اتباع الكتاب والسنة والاقتداء بالسلف الصالح قيد شبر[3].

ومما تقدم يتضح مدى الجهد الذي بذله الشيخ السبكي في تنقية التصوف مما لحق به من بدع وخرافات شوهت صفاءه وأبعدته عن الكتاب والسنة، وكشف زيف هؤلاء الأدعياء الذين قصروا التصوف على الرسوم والمظاهر دون أن يصلوا إلى جوهره وحقيقته.

(١) أعذب المسالك المحمودية ١/٤٩٠.
(٢) يراجع: أعذب المسالك المحمودية ١/٤٩٣، ٤٩٤.
(٣) يراجع: أعذب المسالك المحمودية ١/٥٠١، ٥٠٢.

المبحث الثالث

التصوف البناء وخدمة المجتمع عند الشيخ محمود خطاب السبكي

إذا كان الشيخ قد حمل بيدٍ معول الهدم للبدع والمنكرات والمخالفات التي عجت بها ساحات التصوف في عصره؛ فقد أعمل اليد الأخرى فى البناء، شأن المصلحين والمجددين من أئمة التصوف الكثيرين أمثال القشيرى والغزالى وغيرهما.

وفي الجانب النظري من تصوف الشيخ رسمٌ واضح لمعالم الطريق الصوفي، أرسى الشيخ دعائمه من خلال مؤلفاته الصوفية.

غير أن الشيخ لم يكتف أن يرسم صورة نظريه للتصوف، وإنما راح يضرب أنموذجا رائعا للتصوف العملي.

فقد أخذ الشيخ على أدعياء التصوف تركهم العمل وفرضهم الضرائب والأموال على المريدين وركونهم إلى الدعة والكسل والخمول وعدم السعي على أرزاقهم، والمشاركة في عمارة الأرض، وأسهموا في جعل التصوف ساحة خصبة للطاعنين عليه.

ومن هنا أكد الشيخ السبكي أن التصوف الصحيح لابد من قيامه على أساس من العلم الصحيح وانطلاقه من العمل النافع، فإن حياة الدين بالعاملين من العلماء، وموته بعلماء السوء الذين رضوا بالدنية وذل السؤال، وركنوا إلى الراحة واعتزلوا ساحات العمل والرزق الحلال.

ولذا حث الشيخ على ضرورة تعلم العلوم النافعة للدنيا والآخرة، وعدم قصر التصوف على الجانب النظري، فرآى أن التصوف لابد أن يأخذ شكلا عمليا، وهذا ما تجلى بصورة رائعة من خلال إنشائه **(الجمعية الشرعية لتعاون العاملين بالكتاب والسنة)** وذلك في يوم الأربعاء غرة المحرم من عام ١٣٣١ هـ الموافق ١٢ من ديسمبر ١٩١٢م.

وهذا الشعار الذي اتخذه عنوانا لها له دلالات عديدة، منها:

أن لفظ (الجمعية) يدل على أن العمل يحتاج إلى جهود جماعة وليس إلى أفراد،

ولفظ (الشرعية) يؤكد أن أعمال هذه الجمعية لابد أن تكون موافقة للشرع، ولفظ (تعاون) دعوة لجموع المسلمين ممن يعملون بشرع الله من غيرهم لأن يشاركوا في هذا العمل تحت مظلة الكتاب والسنة، وجملة (العاملين بالكتاب والسنة) تأكيد منه على أن المشاركين في عمل هذه الجمعية ينبغي أن يكونوا من العاملين بالكتاب والسنة، وأن المشاركة إنما تكون في العمل لا التنظير والجدل.

ومن هنا حققت الجمعية الشرعية آثارا كبيرة، لعل من أبرزها:

١- إنشاء المساجد العديدة في مدن الجمهورية وقراها، وفي مقدمتها المسجد الكبير بالقاهرة، الذي أنشأته الجمعية في حياة الشيخ.

فبالإضافة إلى دور المساجد في نشر الدعوة وإحياء السنة ومحاربة البدع؛ أُلحق بها مدارس لتحفيظ القرآن الكريم، ومعاهد أزهرية، ومعاهد إعداد الدعاة والمرشدين وفق دراسة منظمة تؤهلهم لحمل أعباء الدعوة الإسلامية والقيام بنشرها، وفصولا لتقوية تلاميذ المدارس بالمجان؛ لإعدادهم لدخول الامتحان، وتشجيعا لهم على ارتياد المسجد وتعلم أحكام الدين.

كما قامت بعض الفروع بإنشاء دور للإسكان الإسلامي والإشراف الديني والتربوي على سلوك الطلاب، مع اتصال تلك الدور بالمسجد حتى يؤدي الطلاب الصلاة مع الجماعة.

كما لحق بأغلب المساجد مستشفيات ومستوصفات لعلاج مرضى المسلمين بأجور رمزية. ولحق بها أيضا دور للتدريب المهني للفتيات وتعليمهن الحياكة بالتفصيل والتطريز؛ حتى يستطعن أن يتكسبن بدلا من الاعتماد على المساعدات التي تقدمها الجمعية للأسر الفقيرة، مع تقديم المعلومات الدينية لهن عن طريق الدروس الدينية[1].

(١) يراجع: لمحات من تاريخ الإمام الشيخ محمود خطاب السبكي ص١٤٤، ١٤٥، و: في صحبة الشيخ محمود خطاب إمام السنة وقطب الأقطاب ص٨٨، ٨٩.

وبهذا أخذ التصوف عند الشيخ السبكي اتجاها مغايرا لما ألفه أدعياء التصوف من الانقطاع في المسجد للذكر والصلاة والقعود عن تلمس أسباب الرزق الحلال.

فأرشد غير العاجزين عن العمل من الرجال والنساء إلى ضرورة تعلم المهن المختلفة التي تعود عليهم بالرزق الحلال، بدلا من الخنوع والكسل وتلقي الصدقات في الزوايا والربط.

فقد جعل الشيخ الانقطاع إلى الذكر والتصوف طريق الفاشلين في الحياة، ومنع منْ كانوا يقعدون في المسجد بقصد الذكر والعبادة، وطلب منهم السعي والعمل، وفتح أمام من لا يحسنون العمل أو التجارة باب السعي والكسب.

فقد أعطى الشيخ لأحدهم وسيلة للسعي والرزق، ودله على حرفة يحترفها وبضاعة يبيعها ويتعامل فيها، وقال له لا أراك هنا في المسجد خمسة عشر يوما، وإن ما أخذته دين عليك يجب رده مع عائد عملك.

والشيخ لم يكن من الذين يقولون ولا يعملون؛ فبعد إحالته للتقاعد عن العمل رفض أن يحصل على معاش؛ لاعتقاده أن المرتب إنما كان يتقاضاه نظير عمله في التدريس بالأزهر، أما وقد أحيل إلى التقاعد حيث لا عمل فلا وجه لأن يقبل مرتبا بأي اسم سموه[1].

يقول الأستاذ خالد محمد خالد الذي تأثر بتصوف الشيخ السبكي كثيرا: " ولكننا لم نتعلم فى الجمعية التصوف الداعى إلى اعتزال المجتمع والانقطاع عنه، أو الداعى إلى التَواكل، والانهزَامية، والتخلّى عن مسئوليات الحياة.. بل تعلمنا التصوف بمعنى صِدْق التوجُّه إلى الله، وتوثيق العلاقة بالله، وتحمل مسئولياتنا كاملة كمواطنين فى مجتمع..

ويكفى أن نعلم أن الإمام الكبير الشيخ محمود مُنْشِئ الجمعية والجماعة، أقام مصنعا للنسيج من الأنوال التى كانت تُنْتج أبدع أقمشة العَبَاءَات والملابس والفُوط..

(١) يراجع: لمحات من تاريخ الإمام الشيخ محمود خطاب السبكي ص١٢٣، ١٢٤.

كما كان يشجِّع على العمل والتجارة.. بل ويَحضُّ على مقاومة الإنجليز المستعمرين.. ويُبارك الاشتراك فى المُظاهرات المتحدّية استعمارهم.. مما دَفع النقراشى باشا أيام كان عضوا بالوفد، ومُشرفا مع صديق عمره أحمد ماهر باشا على المقاومة السرِّية لجيش الاحتلال ــ يسعى إلى فضيلته زائِراً وشاكِراً..، ومن طريف ما حدث فى هذا اللقاء سؤال الإمام له:

ماذا تعمل يا ولدى؟

أعمل عضواً بالوفد المصرى يا فضيلة الشيخ..

يا بنى أنا أسألك عن العمل الذى تعيش منه أنت وأهلك؟

وضحك النقراشى والحضور.. مُدْرِكين حرص الإمام على أن يكون لكل إنسان عمل يعيش من دخله عَيْش الكرام....

وبعبارة واحدة ــ كان التصوف الذى تعلمناه تصوفا دينَاميكيا، إن جاز هذا التعبير.."[1].

٢- من أهم آثار الجمعية تلك المنسوجات الشرعية الوطنية التي كانت تصنع بمصنع الجمعية وتباع في مركزها الرئيسي وفي الفروع التابعة لها. وهذه المنسوجات حسنة من حسنات الشيخ ورمز منه للنهوض بالمسلم الوطني في مصاف أبناء الغرب الذين يأخذون ما تنتجه أرضنا من قطن وكتان وغيرهما بأبخس الأسعار ويردونه إلينا منسوجا بأبهظ الأثمان[2].

ولا شك أن الاتجاه إلى هذه الصناعة استهدف أمرين:

الأول: تشغيل عدد من المسلمين العاملين بالسنة من ذوي الخبرة في المنسوجات القطنية، ورفع مستواهم المادي صناعا وتجارا، والمساهمة في الاتجاه الصناعي الوطني، ومنافسة المنسوجات والأقمشة المصنعة في الخارج، لمحاربة

(١) قصتي مع التصوف ص١٣٤،١٣٥ دار المقطم للنشر والتوزيع ط الأولى ١٤٢٤ هـ/٢٠٠٤ م.

(٢) **يراجع: ترجمة الشيخ الإمام محمود خطاب السبكي** ١٨/١، ١٩.

الاستعمار ومقاطعة تجارته وصناعته، ودعم الموارد والمنتجات المحلية.

الثاني: إيجاد بديل عن الحرير الذي كان يستعمله المواطنون الرجال؛ لقطع حجتهم في عدم وجود مثيل للحرير المحرم على الرجال، وبذلك أوجد بديلا عن الثياب الحريرية لا تقل نعومة ورونقا، فضلا عن المتانة المعهودة في الأقطان المصرية[1].

وبذلك يكون الشيخ السبكي قد جمع إلى جانب العلم العمل، وهما صنوان أكد الشيخ على ضرورة اجتماعهما في التصوف الإسلامي الصحيح، في صورة رائعة مزج فيها الشيخ بين التصوف النظري والتصوف العملي.

(١) يراجع: لمحات من تاريخ الإمام الشيخ محمود خطاب السبكي ص١٤١.

الخاتمة

من خلال ما سبق عرضه من فصول ومباحث هذا البحث، نستطيع أن نخرج بالنتائج التالية:

أولا- ارتباط الشيخ السبكي بالتصوف منذ مرحلة مبكرة في سبك الأحد قبل انتقاله إلى الأزهر وتلقيه العلم.

ثانيا- ثبوت انتمائه للطريقة الخلوتية وأخذه العهد على يد شيخها أبي جبل السبكي، ودوام بقائه على التصوف حتى لقي الله تعالى.

ثالثا- رسوخ قدم الشيخ في التصوف أهلته لأن يكون شيخا كبيرا له تلاميذه ومريدوه الذين أخذوا عنه العهد والميثاق.

رابعا- صفاء نفس الشيخ و عبادته منذ وقت مبكر أهلته لأن يكون محلا لإكرام الله تعالى له بالكرامات الإلهية والكشوفات والعطاءات الربانية.

خامسا- أخذ التصوف عند الشيخ جانبا نظريا وآخر عمليا.

سادسا- إثراء الشيخ السبكي للمكتبة الصوفية بالعديد من المؤلفات التي رسمت الطريق الصحيح للتصوف يؤكد علو كعبه في هذا الميدان.

سابعا- واجه الشيخ السبكي البدع والمنكرات التي سادت التصوف في عصره، سواء منها ما يتعلق بالطريق أم بأدعيائه.

ثامنا- لم يكتف الشيخ بأن يحمل معول الهدم للبدع والمنكرات، وإنما راح يؤسس للتصوف البناء الذي يخدم المجتمع ويرقى بأبنائه من خلال إنشائه للجمعية الشرعية لتعاون العاملين بالكتاب والسنة.

وبهذا أكد الشيخ ضرورة الجمع بين العلم والعمل وبين النظرية والتطبيق في صورة رائعة مزج فيها بين التصوف النظري والتصوف العملي.

وفي الختام أسأل الله تعالى أن يتقبل مني هذا العمل على الوجه الذي يرضيه عني، وأن يصلحه، وينفع به. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلَّى الله وسلَّم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

ثبت بأهم المصادر والمراجع

أولا – القرآن الكريم

ثانيا- المصادر والمراجع:

- إتحاف الكائنات ببيان مذهب السلف والخلف في المتشابهات وردّ شبه الملحدة والمجسمة وما يعتقدونه من المفتريات، الشيخ السبكي، المؤسسة الأهلية للأجهزة العلمية ط الثانية ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م.
- أعذب المسالك المحمودية، الشيخ السبكي، تح / سعيد عبد الفتاح ط الأولى ١٤٢١ هـ /٢٠٠٠ م.
- تاريخ وجهاد أئمة الجمعية الشرعية، أ / أحمد محمد خطاب الجمعية الشرعية فرع المطرية ١٤٠١ هـ/ ١٩٨١م.
- تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة لأبي الريحان البيروني، طبع عالم الكتب بيروت ط الثانية ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.
- ترجمة الشيخ الإمام محمود خطاب السبكي، الشيخ/ أبو القاسم إبراهيم، المكتبة المحمودية السبكية ط الخامسة ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.
- دراسات في التصوف الإسلامي، د / فيصل بدير عون، الناشر مكتبة الحرية جامعة عين شمس، بدون.
- الرسالة البديعة الرفيعة في الرد على من طغى فخالف الشريعة، الشيخ السبكي، المطبعة العثمانية ١٨٩٥م.
- الرسالة القشيرية في علم التصوف للقشيري، تحقيق/ معروف مصطفى زريق، المكتبة العصرية للطباعة والنشر صيدا بيروت ط الأولى ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م.
- الطبقات الكبرى المسماة بلواقح الأنوار في طبقات الأخبار، عبد الوهاب الشعراني، المطبعة العامرة ١٣١٥ هـ.
- العهد الوثيق لمن أراد سلوك أحسن طريق، الشيخ السبكي، تح / محمود الطيب

بن محمد أحمد شوالي ط الثالثة ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣م

- عوارف المعارف للسهروردي ط دار القومية للطباعة ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م.
- الغزالي والتصوف الإسلامي، د/ أحمد الشرباصي، طبع دار الهلال، بدون.
- فتاوى أئمة المسلمين بقطع لسان المبتدعين، الشيخ محمود خطاب السبكي المطبعة العربية الحديثة ط الخامسة، بدون.
- قصتي مع التصوف، خالد محمد خالد، دار المقطم للنشر والتوزيع ط الأولى ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٤ م.
- قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد، محمد بن علي بن عطية الحارثي المشهور بأبي طالب المكي، تح / عاصم إبراهيم الكيالي، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط الثانية ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م.
- لمحات من تاريخ الإمام الشيخ محمود خطاب السبكي، د/ عبد العظيم حامد خطاب ص ٢٤ ط المؤسسة الأهلية للأجهزة العلمية ومهمات المكاتب، بدون.
- اللمع، أبو نصر السراج الطوسي، تح د/ عبد الحليم محمود ، وطه عبد الباقي سرور طبع دار الكتب الحديثة بمصر، ومكتبة المثنى ببغداد ١٣٨٠هـ / ١٩٦٠م.
- لواقح الأنوار القدسية في بيان العهود المحمدية، الشعراني، تقديم / محمد علي الأدلبي، دار القلم العربي بحلب ١٤١٣ هـ / ١٩٩٣ م.
- مدارج السالكين إلى رسوم طريق العارفين، مخطوط مصور من جامعة طوكيو، معهد دراسات الثقافة الشرقية.
- المقامات العلية في النشأة الفخيمة النبوية، تأليف الشيخ محمود خطاب السبكي، المكتبة المحمودية ط الثانية ١٣٧٤ هـ / ١٩٥٤م.
- منازل السائرين، عبد الله الأنصاري الهروي، دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٨ م.

- المنقذ من الضلال، د/ عبد الحليم محمود، طبع دار الكتاب اللبناني بيروت ط الثانية عام ١٩٨٥م.
- منهج الشيخ محمود خطاب السبكي في الدعوة وأثره في إحياء السنة ومحاربة البدع والخرافات ص ٨ رسالة ماجستير بكلية أصول الدين القاهرة، قسم الدعوة والثقافة الإسلامية ١٤٠٩ هـ/ ١٩٨٩م.
- نشأة التصوف الإسلامي د/ إبراهيم بسيوني طبع دار المعارف، بدون.

* * *

فهرس الموضوعات

المقدمة (أسباب اختيار الموضوع، خطة البحث) ١١٤٩
التمهيد: الشيخ حسين السبكي (لمحة تاريخية)
اسمه ونسبه، مولده، أسرته ونشأته، انتقاله من الأمية إلى العالمية، شيوخه، تلاميذه، رحلته مع التأليف، أعماله، وفاته، رثاؤه ١١٥
الفصل الأول: الإطار النظري للتصوف عند الشيخ محمود خطاب السبكي .. ١١٧١
المبحث الأول: إثراء الشيخ محمود خطاب السبكي للمكتبة الصوفية ١١٧٢
المبحث الثاني: تناول الشيخ محمود خطاب السبكي لأهم قضايا التصوف بالبحث والدراسة ١١٨٠
حد علم التصوف وما يتبع ذلك ١١٨٠
موضوع علم التصوف وفائدته ١١٨٣
ربط علم التصوف بعلم التوحيد ١١٨٣
الصوفي والمتصوف والصوفية ١١٨٥
طريق الصوفية وما يتعلق به ١١٨٨
الأمور التي تلزم مريد الطريق ١١٨٨
مهمات الطريق ١١٨٩
أركان الطريق ١١٨٩
أصول الطريق ١١٩٠
شروط الطريق ١١٩٠
لوازم الطريق ١١٩١
الشيخ والمريد ١١٩٢
علامات الطريق الصادق ١١٩٣
الولاية والكرامة ١١٩٦
الفصل الثاني: التجربة العملية للتصوف عند الشيخ محمود خطاب السبكي .. ١١٩٨

المبحث الأول: انتماء الشيخ محمود خطاب السبكي للطريقة الخلوتية ١١٩٩
المبحث الثاني: مواجهة الشيخ محمود خطاب السبكي للبدع والمنكرات التي سادت التصوف في عصره ١٢٠٥
أولا- بدع الطريق الصوفي: ١٢٠٥
بدع تتعلق بمجالس الذكر ١٢٠٥
تحريفهم للفظ الجلالة ١٢٠٦
الرقص والتصفيق في الذكر ١٢٠٨
جملة من المخالفات المرتبطة بالذكر ١٢٠٩
بدع تتعلق بالموالد وما تشتمل عليه من منكرات ١٢١١
ثانيا- بدع مشايخ الطريق: ١٢١٣
ادعاؤهم الولاية الكبرى وأنهم من الواصلين ١٢١٤
ادعاؤهم الإخبار بالغيب ١٢١٥
ادعاؤهم بأنهم من أصحاب الكرامات وخوارق العادات ١٢١٥
ما يقع منهم في مجالس الذكر من بدع ومنكرات ١٢١٦
تركهم العمل وفرضهم الضرائب والأموال على المريدين ١٢١٨
نتائج البدع والمنكرات التي يرتكبها أدعياء التصوف ١٢١٩
المبحث الثالث: التصوف البناء وخدمة المجتمع عند الشيخ محمود خطاب السبكي
انشاؤه للجمعية الشرعية لتعاون العاملين بالكتاب والسنة ١٢٢١
الخاتمة ١٢٢٦
ثبت بأهم المصادر والمراجع ١٢٢٧
فهرس الموضوعات ١٢٣١